ليبيـــــــــــــــــــــا
المؤتمر الوطنـــــــي العـــــام
الحكومـــــة الليبيـــــة المؤقتـــة
الجامعة الأسمرية الإسلامية
كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا . قسم البلاغة والنقد الأدبي

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير بعنوان:

السمات البلاغية في خطاب القرآن لأهل الكتاب

دراسة في الدلالات البلاغية

(سورة البقرة أنموذجا)

إعداد الطالبة:

خولة نجيب محمد إكحيل

إشراف الدكتور:

أحمد أبو حجر

العام الجامعي:

١٤٣٧- ١٤٣٨هـ

٢٠١٦- ٢٠١٧م

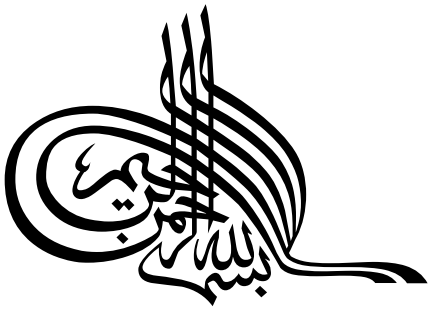
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

{النساء: ٨٢}

لن يفوتني أن أهديه هذا البحث إلى من يستحقه، منارة العلم والعالمين معلم الأميين والمتعلمين، إلى سيد التوابين والمتطهرين، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم وأتمه.

كما أهديه ابني قيس ومحمد زينة دنياي وفلذة كبدي وفؤادي، وأملي في حياتي وكل ما أملك.

وإلى كل من يعشق القرآن، والبلاغة بكل الأشكال والألوان.. أهدي عملي .. وكل شيء مآله إلى النقصان..

الباحثة..

الشكر والتقدير

قد يعجز القلم عن شكر كل من يستحق الشكر، فمن باب رد الفضل إلى ذويه والمعروف إلى أهله وسيرا على سنن الكرام فلا مناص من شكر كل من بث الحياة في هذا العمل فأخلص الشكر وأجزل التقدير والعرفان إلى والدي العزيزين، تحملا عواقب دراستي أيا كانت، وباتا يسألانني عن خطواتي خطوة خطوة، فبارك الله فيهما وأثلج قلبيهما بما يسعدهما ومتعهما بالصحة والعافية، وأدخلهما فسيح جنانه..

وأشكر مشرفي الدكتور أحمد أبو حجر، الذي كان صاحب المعروف الأجل، فجزاه الله عني كل خير وبارك الله له في كل خير.

كما أشكر أخي الأكبر محمدوأخواتي اللائي كن يدفعنني ويشجعنني في كل خطوة أخطوها، ويساعدنني بكل ما أوتين من جهد، وإلى زوجي (طارق أبو حجر) فجزى الله الجميع عني خير الجزاء، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وله الفضل والمنة أولا وآخرا..

وإلى من ذكرت ومن نسيت أسوق قول الشاعر:

ولا عيبَ في معروفهم غير أنه يبيِّن عجزَ الشاكرين عن الشكر

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين..

المقـــــــــــدمة

إن أول ما يفتح به الكلام هو حمد الله وأحق ما يتمسك به الأنام دين الله، فالحمد لله الذي هدانا للإيمان، وفهمنا علم القرآن، والصلاة والسلام على نجي خطابه، وسفير كتابه محمد وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالخطاب القرآني له سلطان عجيب على القلوب ليس لكلام آخر، حتى إنه يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون العربية، إن هذا القرآن يخاطب الثقلين موازنا بين العقل والقلب، فينشئ بهذا الخطاب تأثرا وانطباعا، فهو معجزة خالدة.

وكتاب بهذه المنزلة حري بطالب البلاغة شحذ همته بدراسته، والوقوف على ألفاظه بالدرس والتحليل البلاغي، ومن هذا المنطلق عمدت _بعد استشارة أساتذتي_ إلى موضوع في بلاغة القرآن وهو: **(السمات البلاغية في خطاب القرآن لأهل الكتاب دراسة في الدلالات البلاغية سورة البقرة أنموذجا).**

لم تكن الكتابة والبحث في هذا الموضوع وليدة برهة زمنية عابرة، خطرت فسارت إلى حيز الوجود، فالبحث رحلة امتدت معاناتها سنوات حتى تبلورت كبناء علمي وعدة أشهر.

فلم آل جهدا في البحث والنظر في بطون الكتب والمصادر والمراجع القديمة والحديثة في مجاله الواسع.

وما من شك أن دواعي ربط أجزائه ليكون ذا سياق صحيح أمر ليس بالسهل، ومن خلال اطلاعي المتواضع على هذا المجال من البحث الحيوي لم أعثر على من أحيا هذا النوع من العلوم على هذه الآيات المخصصة من الذكر الحكيم مما جعلني أثبت لها وجودا مستقلا من خلال التعمق والبحث والتحليل فيها من حيث مباحث علم المعاني، فجعلت لذلك سورة البقرة التي تعد أطول سورة في القرآن الكريم اشتملت على

موضوعات شتى محورها أهل الكتاب، حتى يتبين لنا بعض من أسرار النظم من خلال هذا العلم.

أهمية البحث:

إنِ اعتلى البحث أهمية فما ذلك إلا لأنه متصل بكتاب الله عز وجل **(القرآن الكريم)**، وبأسلوبه المتميز في البلاغة والفصاحة.

أسباب اختبار الموضوع:

أولا: أهمية القرآن الكريم في الدراسات اللغوية والبلاغية، فهو الأصل الأول للغة العربية، لما فيه من جلال المعاني وجمال المباني.

ثانيا: مكانة سورة البقرة من القرآن الكريم .

ثالثا: دراسة أساليب القرآن والكشف عن أسرارها مبحث شائق، وفيها يكمن الإعجاز.

رابعا: حداثة مثل هذه الدراسات البلاغية وقلتها، إذ درج الكثير من العلماء في كلامهم عن إعجاز القرآن أن يتكلموا عن ذلك مجملا، فكانت الحاجة إلى أن يفصل.

خامسا: المباحث البلاغية التي تقف عليها الباحثة، وأثرها في الكشف عن وجه من وجوه الإعجاز للقرآن.

الدراسات سابقة:

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الموضوع قد تناول جزءا منه بعض الدارسين والباحثين في مؤلفاتهم، أذكر منهم (من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. حسن طبل، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. عبد العظيم المطعني، روائع الإعجاز في القصص القرآني. محمود السيد حسن، السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية. عهود عبدالواحد).

لكن هذه الدراسات تختلف عما ذهب إليه هذا البحث، فهي إما نحوية صرفية، أو سياقية أسلوبية، وإما دراسات بلاغية تعرض لقضية بعينها.

الخطة المتبعة:

ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة: وقد بينت فيها روعة الخطاب القرآني، وأسباب اختياري للموضوع وبيان الخطة التي سار عليها البحث وملامح المنهج الذي سلكته في كتابة البحث، وبعض الصعوبات التي واجهتها.

التمهيد:

وقد أوضحت فيه بعض المفاهيم الأساسية من خلال العناصر (الإسرائيلي، اليهودي، النصراني، أهل الكتاب من خلال القرآن الكريم، مواقف لأهل الكتاب من سورة البقرة)، وقد بدأت ببيان علم المعاني ثم علم البيان ثم علم البديع في مخاطبة القرآن لأهل الكتاب على النحو التالي:

الفصل الأول: الإسناد الخبري:

المبحث الأول: أحوال المخاطبين.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير.

المبحث الثالث: الحذف والذكر.

المبحث الرابع: التعريف والتنكير:

الفصل الثاني:الأساليب الإنشائية الطلبية

المبحث الأول: أسلوب الأمر

المبحث الثاني: أسلوب النـهي

المبحث الثالث أسلوب الاستفهام

المبحث الرابع: أسلوب النداء

الفصل الثالث: الإطناب والإيجاز

المبحث الأول: الإطناب

المبحث الثاني: الإيجاز

الفصل الرابع:الفصل والوصل والقصر

المبحث الأول: الفصل

المبحث الثاني: الوصل

المبحث الثالث: القصر

الفصل الخامس:التصوير البياني والمحسنات البديعية

المبحث الأول: التصوير البياني

المبحث الثاني: المحسنات البديعية

الخاتمة:

تدون فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات.

وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة المتواضعة والتي أرجو أن تُجنَى ثمارها، ويستفاد منها.

ولابد في عمل بحثي علمي من الصعوبات التي يمر بها صاحبها، وقد مررت بصعوبات ما الله بها عليم، حيث ووجهت رسالتي بالرفض وطلب إعادتها وفق منهجية جديدة تتناسب وماهية البلاغة الحديثة، وفق الأسلوبية، حيث كنت قد أنجزت عملي وأنهيته وفق البلاغة القديمة فأظهرت السمات البيانية للخطاب القرآني لأهل الكتاب، ولكن لم تنل الرضا، حيث تم تغيير المشرف الأول، وبعد تغيير وتعديل وإخفاء للشكل الأول للرسالة ظهرت في حلة جديدة والحمد لله أن وفقت إلى هذا المستوى من العمل وأرجو أن يمن الله علي بقبوله، ولا ألتمس التمام لعملي هذا، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

التمهيد

تحتل آيات بني إسرائيل مساحة واسعة من آي القرآن الكريم، التي تصل إلى ثلث آي القرآن تقريبا، وهذا إن دل على أمر فإنما يدل على أهمية ذكرهم وخاصة إذا ما تم الحديث عن صفاتهم، التي واجهوا بها دعوة أنبيائه، فقتلوا أنبياء الله وهم المتصفون بالجدل العقيم، عنيت الدراسة بالآيات التي وقعت فيما يصنف بدراسة دلالات التراكيب.

قراءة في المفاهيم:

تدور سورة البقرة حول العديدمن المواضيع مخاطبة عدة فرق ومن بين أهم تلك الفرق أهل الكتاب، "وهم أشهر الأمم المتدينة ذات الكتاب الشهير والشريعة الواسعة،...وخص من بينهم بني إسرائيل لأنهم أمثل أمة ذات كتاب مشهور في العالم كله وهم الأوحداء بهذا الوصف من المتكلمينباللغة العربية الساكنين المدينة وما حولها، وهم أيضا الذين ظهر منهم العناد والنواء لهذا الدين"[1].

ومن أهم مقاصد خطاب أهل الكتاب في سورة البقرة تعليم المسلمين التشريع ومعرفة أخبار الأمم السابقة، والتعريفبأن أهل الكتاب هم أمة موحدة مكذبة للأنبياء، وبيان كيفية توجيه الخطاب إليهم والتدرج فيه بأساليب بديعة في مجادلتهم بالدلائل الدينية العلمية والتذكير بالنعم والمعجزات[2].

لقد تزاحمت المسميات المنطوية تحت مسمى أهل الكتاب، ويظن كثير من الناس أن تلك المفاهيم(الإسرائيلي، واليهودي، والنصراني) ذات مدلول واحد بينما في حقيقة أمرها أن كل مسمى منها تصدر هذه الأمة في حقبة زمنية معينة.

الإسرائيلي:

---

[1] التحرير والتنوير. ابن عاشور د.ط (الدار التونسية للنشر – تونس. ١٩٨٤هـ) : ١/٤٤٧-٤٤٨.

[2] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

وهو مسمى جاء تاريخيا قبل اليهودية وذلك بحسب السير، كما أنه من الكلمات المركبة من (إسرا) والتي تعني عبدا أو صفوة، و(إيل) بمعنى الإله أو الرب أو الله وبذا يكون معنى إسرائيل عبد الله أو صفوة الله[١].

ثم صار علما "لأبناء يعقوب" منذ خروجهم من مصر حتى آخر أيام شاؤل أول ملوك إسرائيل[٢]، وهذا يعني أن كلمة (إسرائيل)هي الاسم البديل ليعقوب، قال تعالى:﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ...﴾[٣]وإسرائيل في هذه الآية هو يعقوب عليه السلام[٤]، وقد فسرها كثير من الدارسين على أنها تعني عبد الله[٥].

وتجدر الإشارة إلى أن لفظ (إسرائيل) قد استعمل مرادفا لبني إسرائيل منذ أيام يعقوب، ومن أبناء يعقوب تكونت أمة بني إسرائيل، "فقوله "**يا بني إسرائيل**" خطاب لذرية يعقوب، وقد خاطبهم بهذا الوصف، دون أن يقول يا أيها اليهود لكونه هو اسم القبيلة"[٦]، ولأن اليهود اسم عام يطلق على كل من اعتنق الديانة وتهود، فيطلق عليه يهودي ولا يطلق إسرائيلي إلا على أبناء إسرائيل فقط[٧].

---

[١] ينظر: بنو إسرائيل. محمد مهران. ٣٤/١. د. ط (دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٩).

[٢]ينظر: المصدر نفسه: ٣٦/١.

[٣] آل عمران الآية ٩٣

[٤] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. د. تح. ٤١٢/١. ط٣. (دار الكتاب العربي – بيروت. لبنان. ١٤٠٧ هـ).

[٥] ينظر: التحرير والتنوير ٤٥٠/١

[٦] التحرير والتنوير ٤٤٩/١

[٧] ينظر: ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره. محمد حربي: ٢٣٧. ط١ (دار عالم الكتب بيروت. لبنان. ١٤٠٧هـ).

ولهذا هم تميزوا عن غيرهم من باقي ذرية إبراهيم، إلا أنهم كانوا على ديانة أبيهم يعقوب وشريعة جدهم إبراهيم عليهما السلام التي تقوم "على التوحيد وملة الإسلام"[1] يظهر ذلك جليا في قوله تعالى:﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

اليهودي:

من الألفاظ الدالة على الرجوع والتوبة، فنقول: هاد وتهود بمعنى تاب ورجع إلى الحق، ويدخل في هذا المعنى قول الله تعالى:﴿إنا هدنا إليك﴾[3]وقد سمي بنو إسرائيل بهذا الاسم بعد توبتهم عن عبادة العجل وما تجرؤوا به على الله[4].

ومنهاهادوا بمعنى دخلوا اليهوديةقال تعالى:﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [5]"وهم أحبار اليهود"[6]وقيل" هم ينتمون إلى قبيلة يهوذا رابع أبناء يعقوب تمييزا لهم عن الأسباط الإسرائيلية، ثم صارت تطلق على جميع المشتتين في العالم، وقد

---

[1] الكشاف ٢١٩/١.

[2] البقرة الآية ١٣٣

[3] الأعراف من الآية ١٥٦

[4] ينظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. تح إبراهيم شمس الدين: مادة(هـ.و.د). ط١. (دار الكتب العلمية. بيروت– لبنان.١٩٩٩م).

[5]النساء الآية٤٦

[6] الكشاف ٥٤٨/١

خاطبهم الله_ سبحانه_ باسم "أهل الكتاب"[1]وهم قوم سيدنا موسى عليه السلام وأنزل عليه كتاب التوراة وهو كتاب" اختص أحكاما واستنبط حلالا وحراما"[2].

النصراني:

هو لفظ محتمل لعدة معاني قيل أنه سمي بهذا الاسم" نسبة إلى الناصرة مسقط رأس المسيح عليه السلام[3]وقيل إنه" لما عاد وأمه عليهما السلام إلى الشام نزلا بقرية يقال لها الناصرة وبها سميت النصارى"[4].

وتعد"النصرانية ديانة سماوية منزلة ظهرت بعد اليهودية"[5]حيث بعث الله _سبحانه_ عيسى عليه السلام_ إلى بني إسرائيل، "والإنجيل النازل على المسيح عليه السلام لا يتضمن أحكاما ولا يستنبط حلالا ولا حراما، ولكنه رموز وأمثال ومواعظ ومزاجر"[6]أنزله الله مكملا لما جاء في التوراة من تعاليم، وليرشد الطغاة من اليهود[7].

من هنا ندرك أن لفظ اليهودي أعم وأشمل من النصراني، كما يظهر لنا أن لكل مفهوم منها حقبة زمنية معينة، إذ يشكل مفهوم اليهودية الفترة السابقة للنصرانية،

---

[1] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. فوزي محمد حميد:٣٥٨ (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.ط١/ ١٤٢٨هـ= ١٩٩٩).

[2] الملل والنحل.الشهرستاني٢ صححه وعلق عليه. أحمد فهمي محمد: ٢٢٩. د. ط. (دار الكتب العلمية. بيروت_ لبنان. د.ت).

[3] وقفة بين أصحاب الديانات. عصام الدين محمد علي٢٠٥. د. ط (منشأة المعارف .١٩٩٠).

[4] الكامل. ابن الأثير. ت: أبو الفداء عبدالله القاضي: ٢٤١/١. ط٢ (دار الكتب العلمية.بيروت. ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م) .

[5] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. فوزي محمد حميد:٤٢٩.

[6] الملل والنحل. الشهرستاني: ٢٠٩/١.

[7] ينظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة/٤٣٠.

وتجدر الإشارة إلى أن كلا الفريقين تسودهما الصراعات والنزاعات وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾[1].

ومن أهم أسباب هذا النزاع أنه لما كان جل ما جاءت به النصرانية عظات ونصائح بخلاف التوراة عند اليهود التي جاءت بالتشريع، أدى ذلك الاختلاف إلى معاندة اليهود، وعدم الانقياد إلى عيسى عليه السلام، فقد" ادعوا عليه أنه كان مأمورا بمتابعة موسى وموافقة التوراة"[2] عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

ومما مضى يتبين أن أهل الكتاب هو تعبير قرآني، قُصِدَ به أمتان كبيرتان هما اليهود والنصارى تمييزِا لهما عن الوثنيين[3]، وبني إسرائيل هو اسم يطلق عليهم ويفسر بحسب السياق الذي ورد فيه.

وقد أفاض القرآن الكريم في بيان ملامح أهل الكتاب وسماتهم في الكثير من المواضع منها ما جاء مبينا سرعة التذمر والسخط كقوله تعالى::﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[4]، انعدام الثقة فيهم حيث أنهم سرعان ما ارتدوا عن دين موسى عليه السلام بعد أن نجاهم من فرعون وقومه وذلك يظهر جليا في اتخاذهم العجل إلها قال تعالى::﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾[5].

---

[1] البقرة الآية ١١٣.

[2] الملل والنحل. الشهرستاني١/٢٢٩.

[3] ينظر: قاموس المذاهب والأديان. حسين علي حمد: ٤٣. ط١ (دار الجيل_ بيروت. ١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

[4] الأعراف الآية ١٣٨

[5] البقرة من الآية٥٤

ومنها جرأتهم على الله وطلبهم برؤيته جهرة والتمنن بإيمانهم وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...﴾[1]، ومما اشتهروا به نقض المواثيق كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا...﴾[2]فبعد التهديد والوعيد عاهدوا وما لبثوا حتى تولوا وعصوا.

فأهل الكتاب لم يتورعوا ولم يستكينوا عن الإساءة إلى الله وأنبيائهم ورسلهم في شتى أحوالهم، وحتى في فترة الإسلام تنزلت الآيات القرآنية مبينة مواقف لهم كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3]ومنه بيان أنهم يعلمون بالآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويكتمونها[4]، وفي بيان ذلك عنهم حط من شأنهم وطعن في أقوالهم كالذي ورد الإخبار عنه في قوله تعالى: ﴿...وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5].

ومن بين المسالك التي اتكأ عليها أحبار اليهود، لتبرير كفرهم وصدهم عن الإسلام قولهم على جبريل عليه السلام" هو عدونا لو كان غيره لآمنا بك"[6] فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى

---

[1] البقرة الآية ٥٥

[2] البقرة من الآية ٩٣

[3] البقرة ١٤٥

[4] ينظر: الكشاف١/٢٣٠

[5] البقرة من الآية١٤٦

[6] إرشاد العقل السليم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود: ١/١٣٣. د.ط (الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت).

لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]ومنه ما جاء في الخطاب فاضحا لنواياهم اتجاه الإسلام كالذي جاء في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[2].

كما يقص علينا القرآن الكريم من قصصهم ليكون دليلا على أنه وحي من عند الله، كما أنه يشتمل على ذكر الكثير من تجاوزاتهم في كل حقبة زمنية ومن تجاوزاتهم ادعاءات مع غياب الأدلة عليها[3] ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] وقوله تعالى﴿ ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[5]، كما أن لهم باع في الغش والكذب[6]وقد ورد ذلك قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[7]، وقد أنزل الله عليهم عقوبات على تلك التجاوزات والمخالفات علها تردعهم[8]ومن هذه العقوبات ما ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ(٥٥)﴾[9]وقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ...﴾وقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا

---

[1] البقرة الآية٩٧

[2] سورة المائدة الآية٨٢

[3] ينظر: البيان في روائع القرآن تمام حسان: ٤٠٥/٢. ط٢ (عالم الكتب- القاهرة. مصر. ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م).

[4] البقرة الآية٨٠

[5] البقرة الآية١١١

[6] ينظر: البيان في روائع القرآن: ٤٠٧/٢

[7] البقرة الآية٧٦

[8] ينظر: البيان في روائع القرآن: ٤١٠/٢

[9] البقرة الآية٥٥

﴿يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1]، وقوله :﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[2]،

وقوله:﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾[3]ومنه المرض في قوله تعالى:﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ...﴾"[4].

"وأما عقوبات من جاءوا بعد موسى وهم المعروفون باسم اليهود فهي أكثر من ذلك نظرا لكثرة التجاوزات وتنوع صور المعصية...ومن هذه العقوبات"[5]ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[6]ومن العقوبات أيضا ما ورد في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[7] وقوله:﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[8]،ومنها قوله تعالى:﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[9]ومن العقوبات" تحريم الطيبات والسخط والقهر والجلاء من الديار"[10].

---

[1] البقرة من الآية٦١

[2] سورة المائدة الآية ٢٦

[3] سورة القصص الآية ٨١

[4] سورة طه من الآية٩٧

[5] البيان في روائع القرآن: ٤١٢/٢

[6] البقرة الآية ٥٩

[7] البقرة الآية ٦٥

[8] البقرة الآية ٨٨

[9] البقرة الآية ٩٠

[10] البيان في روائع القرآن: ٢/ ٤١٥-٤١٦

مواقف لأهل الكتاب من سورة البقرة:

كما نزل القرآن في مكة تلك البقعة المباركة التي تحوي بين جنباتها بحسب موقفهم من الرسالة المحمدية (المشركين، والمنافقين والمسلمين) مبينا ورادا ومحاورا ومخاطبا ومذكرا، نزل في المدينة المنورة ليخصص لساكنيها من أهل الكتاب آيات بعينها، فجاء القرآن عاما ليدخل في نطاقه كل هؤلاء والذين إنما سموا بهذه المسميات انطلاقا من المصطلح القرآني، عند استنباط خطاب ما، وما يختص به البحث هنا هم أهل الكتاب.

لقد سجلت سورة البقرة عدة مواقف لهذه الفئة من الدعوة الإسلامية وغيرها من المواضيع.

وبهذا نعرض بعض تلك الآيات التي كانت فيها مواقفهم السيئة ظاهرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[1] حيث انتقل الخطاب من النداء في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2] والذي جاء لموعظة كل فريق من الفرق السالفة الذكر، فعندما استوفى النص أحوالهم تهيأ المقام لخطاب عمومهم على نبذ الشريك[3].

---

[1] البقرة الآية ٢٦

[2] البقرة الآية ٢١

[3] ينظر: التحرير والتنوير ٣٢٣/١.

والذي يوضح هذا الانتقال عن ذاك السياق هو موقفهم فيما "روي عن الحسن و قتادة أن الله لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب بها المثل ضحك اليهود وقالوا: ما يشبه أن يكون هذا كلام الله فأنزل الله﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً...﴾"[1]

وكان أشد المعاندين فيها هم اليهود، والذي يؤكد أن الخطاب رد على موقفهم ما ورد في قوله تعالى:﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ وهذه صفة اليهود[2].

وهكذا فقد ساعد السياق على الكشف عن موقف المخاطبين الذي استدعى نزول هذه الآيات وبهذا البناء، فالمخاطب عندما عجز عن الإتيان بمثله انتهج سبل الطعن في المعاني[3] وهو أحد مسالك اليهود، وكان تصدير الجملة المؤكدة بلفظ" الله" الجامع لجميع صفات الكمال أشد وقعا وإقناعا في نفس المخاطبين كما أن في اختيار التعبير للمسند بلفظ "يستحي" دون غيرها فيه زيادة في الرد عليهم لأنهم أنكروا أن هذا الكلام هو من عند الله[4].

ومثله ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[5] وذلك لسبب مقامي اقتضاه موقف من يهود أهل المدينة، فقد "كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين: اثبت

---

[1] أسباب نزول القرآن. الواحدي. تح: كمال بسيوني زغلول: ٢٦-٢٧ (دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان. ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م).

[2] ينظر التحرير والتنوير ١/٣٥٨-٣٥٩

[3] المصدر نفسه١/٣٥٨

[4] ينظر: المصدر نفسه: ١/٣٥٩-٣٦٠

[5]البقرة الآية٤٤

على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل_ يعنون محمد صلى الله عليه وسلم_فإن أمره حق"[1].

ابتدأ الخطاب بالاستفهام الذي يعد "من أقدر الأساليب على تنشيط آلة التفكر"[2]، وأحد الأساليب التي أتت استجابة لمراعاة موقف المخاطبين، ليحمل معنى التقرير والإلزام، ومقصوده بث الحجة عليهم وإلزامهم بالتقرير الصريح.

ومن بين مواقفهم ما جاء في قوله تعالى مع الرد عليهم ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] وردت الآية ردا على قول اليهود "إنما يعذب الناس في النار لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار، من أيام الآخرة، وإنما سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فنزلت الآية"[4].

وقد عبر بلفظ القول دون غيره في قوله﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ" لأنه الأصل في القول إنما يكون نابعا وفق اعتقاد صادق في أنفسهم.[5]

أسلوب الاستفهام في قوله:﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ليس على حقيقته؛ حيث أنكر عليهم قولهم، وذلك لأنه ليس لله أن يجعل حجة رسوله في إبطال قولهم بأن يستفهمهم؛

---

[1] أسباب نزول القرآن. الواحدي :٢٧

[2] أساليب الإقناع. بن عيسى باطاهر:١٢٣. ط١ (دار الضياء.الأردن. ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م).

[3] البقرة الآية٨٠

[4] أسباب نزول القرآن. الواحدي/٣٠.

[5] ينظر: التحرير والتنوير ٥٧٩/١.

بل المقصود من الاستفهام هو التنبيه على طريقة الاستدلال المتحقق بالسمع، والذي بعدم توفره لديهم وجب ألا يجوز الجزم[1] .

ومما يبين ما فعلوه من محاربة للإسلام ما توضحه الآية في قوله تعالى:﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2]وقد"نزلت في الذين غيروا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابهم، وجعلوه آدم سبطا طويلا، وكان ربعة أسمر، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم: انظروا إلى صفة النبي الذي يبعث في آخر الزمان، ليس يشبه نعت هذا. وكانت للأحبار والعلماء مأكلة من سائراليهود، فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن بينوا الصفة، فمن ثم غيروا"[3].

فموضوع الآيتين مختلف فإحداهما رد على افترائهم وقولهم الذي دل على اعتقاد يشيعونه بين الناس، والأخرى سيقت بلفظ التقريع، استفظاعا لحالهم، أنهم يكتبون شيئا لم يأت من رسلهم[4].

---

[1] ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. فخر الدين الرازي: ١٣١/٣. ط١.(دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان. /١٤١١هـ=١٩٩٠م).

[2]البقرة الآية٧٩.

[3] أسباب نزول القرآن. الواحدي:٢٩.

[4] ينظر: التحرير والتنوير ٥٧٥/١– ٥٧٩.

ومن المعلوم أن تلك الصور معتمدة في بنائها التركيبي على الإسناد، وهو نسبة تتحقق من "ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى"[1]، "وعند ضم الكلمات بعضها إلى بعض تتكون الجمل المفيدة أو الأخبار"[2].

ومن هنا نخلص إلى القول بأن الله أجزل النعم على أهل الكتاب، لعلهم يهتدون ويستجيبون، لكنهم في كل مرة يتمردون ويعصون، ويخالفون أحكام الله وتشريعه فأنذرهم وهددهم وأنزل الله عليهم العقوبات علها تردعهم ولكنها لم تزدهم إلا نفورا وتجبرا وفسادا في الأرض، ليكون الأمر سنة فيهم على مر العصور، وما هم إلا أمة تجلت معالمها الشخصية في شتى المشاهد القرآنية التي صورت لنا بدقة جمعا من الأنماط الإنسانية بين المهتدي والعاصي المعاند والكافر بأنعم الله.

---

[1] من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. عبد العزيز عبد المعطي عرفة: ١/ ٧٣. ط.٢ (عالم الكتب١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م).

[2] علم المعاني. بسيوني عبد الفتاح بسيوني.١/٢٥. د.ط (مكتبة وهبة. القاهرة. مصر. .ت).

الفصل الأول: الإسناد الخبري

المبحث الأول: أحوال المخاطبين

المبحث الثاني: التقديم والتأخير

المبحث الثالث: الحذف والذكر

المبحث الرابع: التعريف والتنكير

المبحث الأول: أحوال المخاطبين:

المطلب الأول: مقام خالي الذهن

المطلب الثاني: مقام المتردد

المطلب الثالث: مقام المنكر

مدخل:

إن للأساليب وللتعبيرات القرآنية عن معانيها صورا متعددة، و"لو أن هذه الصور جميعا كانت متساوية في الوصول إلى ...المعنى لانتفت الفائدة من تعددها ولنسب إلى اللغة العربية أنها لغة مسرفة مبذرة لا تعرف الاقتصاد في تصريف وسائلها"[١].

فتنزل الآيات ذات بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صنعت ليتم بعضها بعضا، وهناك آليات وطرق أسلوبية تمنح الدارس باتباعها البينة الواضحة للفصل بين الخطابات القرآنية، والتي تشكل رسالة ذات بداية و نهاية، أحوال المخاطبين، أحوال الإسناد الخبري.

"فالكلام يفيد أصل وضعه معنى نطلق عليه المعنى الحقيقي أو الأصلي، ولكنه قد يخرج أحيانا عن المعنى الذي وضع له أصلا ليؤدي إلينا معنى جديدا يفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها"[٢].

وللخبر بحسب مقتضى الحال مقامات، "يدل عليها الخبر دلالة تبعية"[٣]ويقصد من الحال"هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به المراد خصوصية ما، هذه الخصوصية التي اعتبرها مع الكلام هي مقتضى الحال"[٤]، ويقصد بالمقامات هي تلك الكيفيات في عرض الخبر و أحوال الإسناد الخبري، التي تعتمد

---

[١] البيان في روائع القرآن: ١٢٣/٢.

[٢] في البلاغة العربية علم المعاني والبيان والبديع. عبد العزيز عتيق.(دار النهضة العربية. بيروت):٤١

[٣] علم المعاني. بسيوني عبد الفتاح بسيوني: ٤٠/١.

[٤] علم المعاني دراسة وتحليل. كريمة محمود أبو زيد: ٣٠. ط١. (درا التوفيق النموذجية. ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م).

على مقتضى الحال المختلف[1]، وللخبر كيفيات يلقى بها بحسب أحوال المخاطبين، وبحسب الحال والمقام.

إن في تضمين الكلام بالتوكيد مغزى، فالعرب لا تأتي بالتوكيد في كلامها إلا في أحوال يجب مراعاتها في المخاطب، فلا يعد شكلا من أشكال الزينة والتحسين الخارج عن الفائدة، إنما هو أساس من أسس البلاغة العربية الصحيحة، فكانت تؤكد كلامها إذا كان المخاطب في حاجة إلى ذلك، وتأتي بمؤكد واحد إن كان المخاطب مترددا قد ساوره الشك في الخبر، وتأتي بأكثر من مؤكد إن زاد في شكه وتردده، وتزيد المؤكدات كلما زاد في إنكاره[2].

"وأدوات التأكيد كثيرة منها: إن، أن، لام الابتداء، ونونا التوكيد، والقسم، وأما الشرطية، وأحرف التنبيه، وأحرف الزيادة وضمير الفصل، والسين وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد أو وعيد، وقد التي للتحقيق، وإنما"[3] وقد زخر خطاب القرآن لأهل الكتاب بهذا الأسلوب، إذ ينبغي مراعاة حال المخاطب عند الإخبار، وبهذا نخلص إلى أن للخبر مقامات يجب مراعاتها وهي ثلاثة، مقام خالي الذهن مقام المتردد ومقام المنكر.

---

[1] ينظر: علم المعاني دراسة وتحليل. كريمة محمود أبو زيد: ٣٠.

[2] ينظر: علم المعاني بسيوني عبد الفتاح بسيوني: ١/٤٠-٤١

[3] البلاغة العالية علم المعاني. عبد المتعال الصعيدي. قدم له /عبد القادر حسين. :٤٢-٤٤ . ط٢(مكتبة الآداب.١٤١١هـ=١٩٩١م).

المطلب الأول: مقام خالي الذهن:

وهو الخبر الذي يكون خاليا من المؤكدات، لأن المخاطب خالي الذهن من الخبر كما في قوله:﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].

القول المسوق هنا بيان لتفصيل القول في تاريخ غفل عنه عامتهم وخلفهم وجهلوه، مما جعل الخبر مستغنيا فيه عن التأكيد، نزولا عند حالهم منه.

ومن الخبر الخالي من المؤكدات ما جاء في سياق الرد على معتقد وفد نجران الذين وصفوا نعت عيسى عليه السلام بالعبد بأنه أمر معيب لا يجوز، فنزل قوله[2]تعالى:﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[3] أي" لن يأنف ولن يتعظم"[4]، وكما نلحظ أن الآية جاءت دونما أن يلازمها تأكيد فقد جهل هؤلاء موقف عيسى عليه السلام واتخذوه وقية من عند أنفسهم، مما تطلب خبرا لرفع هذا الجهل.

---

[1] البقرة الآية ٥٠-٥١

[2] ينظر: معالم التنزيل محيي السنة. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش: ٢/ ٣١٥. ط٤. (دار طيبة للنشروالتوزيع١٤١٧ هـ-١٩٩٧م).

[3] النساء الآية١٧٢

[4]معالم التنزيل محيي السنة. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: ٢/ ٣١٥.

تنزيل المتلقي خالي الذهن من الخبر منزلة المتردد الشاك:

وقد يخرج الخبر عن مقتضاه الظاهر من حيث التأكيد فيعامل خالي الذهن من الحكم منزلة الشاك، ومنه ما جاء في خطاب الرسول عليه السلام فجيء بالخبر مسبوقا بتأكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] فنزل المخاطب خال الذهن منزلة الشاك المتردد.

وقد يُرادُ مِنْ تنزيل المتلقي خالي الذهن منزلة المتردد معنى التوبيخ، ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

عبر الخطاب عن معنى الإنذار والتذكير لليهود بما لاقاه أسلافهم من جراء الاستخفاف بأوامر الله سبحانه، فكانت كالزاجر لهم[3]، وفي ذلك تحقيق لمعنى التوبيخ، وصدر الخطاب معززا بلام القسم وقد المفيدة للتحقيق وهذا مما يخرجه عن مقتضاه الظاهر؛ حيث نشهد تنزيلهم من خالي الذهن إلى المتردد الشاك.

وملخص ذاك كأن الحق_ سبحانه_ عرفهم أن الإثم مع العلم أتم من الإثم بالفعل فقط، فهم كانوا أكثر فعلا وأقدمه، وأنتم أتم منهم علما باتخاذ العبرة مما سبقكم، فكان فضل العلم موجبا عليكم الأسبقية في إظهار الإذعان"[4].

---

[1] البقرة الآية٦٩

[2] البقرة الآية٦٥-٦٦

[3] ينظر: التحرير والتنوير ٥٤٣/١

[4] ينظر: معاني النحو. فاضل السامرائي: ٧/٢ _ ٨. ط٢. (دار الفكر. ١٤٢٣هـ =٢٠٠٢م).

المطلب الثاني: مقام المتردد:

وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه، ولا يعرف مدى صحته وهنا يحسن تأكيد الخبر بمؤكد واحد، ومن الطلبي ماجاء في سياق دعوة أهل الكتاب للإيمان ببيان إحاطة هذا الكتاب لعلم قد يعلم بعضه خاصتهم ومنه ما يخفى عنهم، ففي قوله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[1]"دعا اليهود والنصارى إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كصفته وكصفة الرجم، وهذا معجز لأنه لم يقرأ كتاباً وقد أخبرهم بأسرار كتابهم"[2]، ثم إنه يتلطف معهم كمدخل للدعوة بعد خلق الثقة في مصداقية الخطاب فيمنحهم العفو في قوله:﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي يمنحهم التغاضي مع العلم به بعد أن أثبت في قرارة نفوسهم صدق القول بسوق مصداقه فيما سبق من الآيات، والمعنى أما غير ذلك "مما تخفونه فلا يبينه مما لا تمس إليه حاجة في هذا الدين"[3]ولأنهم قد بدا عليهم الشك والتردد في الخطاب الموجه جيء بالخبر مصدرا بقد المؤكدة، مراعاة لحالهم.

و تأمل قوله تعالى:﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[4]فلأن المقام للمحاجة ولبيان بديهية تردد فيها هؤلاء، عزز القول لهم بمؤكد،

---

[1] سورة المائدة الآية١٥

[2] تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. النيسابوري: ٥٦٩/٢. ط١. (دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م).

[3]المصدر نفسه الجزء والصفحة ذاتها.

[4] البقرة الآية٩٨

عقب بحكم جاء موافقا لما عقد في نفوسهم، فكأن في الخطاب عموما نزل عند قولهم ثم خاطب ما خالجهم من نوايا وجاء كلا الخبرين مكللا بالتأكيد.

جعل المتلقي غير المنكر للحكم منكرا:

ويخرج الخبر عن مقتضاه الظاهر، لينزل المخاطب المتردد في هذا السياق منزلة المنكر منه ما جاء في قوله تعالى:﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1] نزلت "هذه الآية عند أكثر أهل العلم خطابا لأهل الكتاب"[2]، يخاطب الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل في مستهل الخطاب فيأمرهم بالاستعانة؛ ولعله خصهم بالاستعانة لأنها "تدفع الكبرياء"[3] فأكد أن الاستعانة والصلاة كبيرتان حيث"أعقبت الآية بـ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ إشارة إلى التثاقل والتكاسل الجاريين في الغالب والأكثر مع ضعيف اليقين وقلة الإخلاص وذلك مناسب لحال بني إسرائيل ممن ذكر في الآيات قبل وبعد"[4]، وأكد الخبر معنويا بـ"إن واللام" ولفظيا في تكرار إن للتوكيد العام، و"اللام" التي "يؤتى بهافي مواطن الرد والإنكار وفي مواطن الجواب[5]، وأسلوب الاستثناء بـ"إلا" أفاد زيادة التصريح بالحكم نصا[6]

المطلب الثالث: مقام المنكر:

---

[1] البقرة الآية٤٥-٤٦

[2] أسباب النزول. الواحدي: ٢٧.

[3] كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبدالله. تح محمد حامد الفقي:١/٥٤. ط٢ (/دار الكتاب العربي بيروت.١٣٩٣_١٩٧٣).

[4] ملاك التأويل. أحمد الغرناطي. تح محمود كامل أحمد١/٥٠. د.ط (دار النهضة العربية. ١٩٨٥م).

[5] ينظر: مجلة الدعوة الإسلامية. العدد ٢٥. ٢٠٠٨. طرابلس"دقة التعبير في نهايات الآيات بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقا"عبد المجيد محمد خليفة :١٥.

[6] ينظر: معاني النحو. السامرائي:٢/٢٢٩.

وهو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكارا يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد[1]، وقد كثر هذا الضرب في خطاب أهل الكتاب ومنه ما جاء في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[2] وسر إيثار التعبير بـ(لقد) حال هؤلاء المنكرين، وهذا إنما جاء مفتتحا لتوبيخهم وفي ذلك إضافة تضفي على الخبر تجسيدا لموقفهم إذ لا يهمهم أكثر من أنفسهم وهواها.

من التأكيد ما جاء في الإخبار عن بطلان زعم اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على دينهم[3]حيث قال الله تعالى في ذلك:﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4].

فعبر الخطاب عن هذا المعنى بالنفي، وكرر النفي بلا لتأكيد النفي عن كل واحد من الدينين، ثم استدرك بعبارة:﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ واقعة بين النقيضين بالنسبة إلى اعتقاد الحق والباطل"[5] لمزيد احتراز عن كونه معتنقا لغير الحنيفية، فتكون هذه الجملة توكيداً لما قبلها من قوله: (ما كان إبراهيم يهوديا).

تنزيل المنكر منزلة المتردد:

---

[1] ينظر: علم المعاني بسيوني عبد الفتاح بسيوني.١/٤٠

[2] البقرة الآية٨٧

[3] ينظر: التفسير الكبير: ٨/٧٧.

[4]آل عمران الآية ٦٧

[5] تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي. تح عادل عبد الموجود وآخرين: ٢/٥١١. ط١/. (دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م).

وقد ينزل المخاطب المنكر وينزل منزلة المتردد الشاك في الأمر وهذا المخرج إنما يتضح من خلال السياق فتأمل قوله تعالى مخاطبا بني إسرائيل:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1]

جاء الخبر مؤكدا بأن في عبارة﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾لأن مقتضى أحوالهم الظاهرة في أفعالهم تتنافى وعملهم بالحكم، كما أكد القول بطريق التكرار حيث" كرر التذكير للتأكيد والإيذان بكمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعمة"[2]، وهكذا نجد أن الخطاب عاملهم معاملة المتردد الشاك في الأمر في حال أن ما أظهروه من نواء وعناد لهذا الدين يبين مدى إنكارهم له.

وفي قوله تعالى تنزيل المنكر منزلة الشاك: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]أنكر أهل الكتاب تنصيب طالوت ملكا إنكارا شديدا[4]، و ختمت الآيات بخبر مؤكد بإن فقط، حيث نزل هؤلاء المنكرون المناوئون منزلة المتردد، ففيه تضمين لتجاهل حالهم من الحكم وتقليل من شأنهم.

تنزيل المنكر للحكم منزلة خالي الذهن:

---

[1] البقرة الآية٤٧

[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي. تح علي عبد الباري عطية: ٢٥٠/١. ط١. (دار الكتب العلمية – بيروت. ١٤١٥هـ).

[3] البقرة الآية ٢٤٧

[4] ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: ١٤٦/٣.

ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وذلك عندما جاء القول منزلا المنكر المعاند منزلة خالي الذهن؛ إذ جاء القول في نفي ما تشربته قلوبهم من ضلال ولكن دونما مؤكد.

ومن هنا نخلص أن من أحوال الإسناد تأكيد الخبر وله مقامات، فمتى جيء بالتأكيد على حسب ما ذكر مراعيا الظاهر من حال المخاطب سمي الكلام مطابقا لمقتضى الظاهر؛ وأما إذا لم يؤت بالتأكيد في مورد التأكيد، أو أوتي به في غير مورده كان من باب العدول لنكتة بلاغية اقتضاها المقام؛ إذ لكل مقام مقال.

وإن هذا الخروج في حقيقته تداخل بين أغراض الخبر فيما بينها بسبب، ومن البين في سياقات الخطاب القرآني لأهل الكتاب أن الخطاب كثيرا ما يكون مشبعا بأكثر من مؤكد، ولربما يؤكد الخبر لشرف الحكم، وإن لم يكن المخاطب مترددا أو منكرا، وقد يكون بسبب ما يظهره المخاطب من أفعال منافية لحقيقة ما يعلمه من خبرات، أو أخذ مسبق بردة فعله المتوقعة، وبناء على هذا فإنه قد يلقي الخبر على المخاطب المنكر، ولكن بدون أدنى تأكيد حيث روعي منه فعله اتجاه الأمر فعومل معاملة الجاهل بالخبر، وقد يكون عالما بالخبر غير منكر له، فينزل منزلة المنكر، لتمرده عما يعلمه بفعل أو قول، وقد ينزل المنكر منزلة المتردد، اكتفاء يفتح المجال لتحكيم الضمير، أو بما حوله مما يثبت له مدى واقعية الخبر إيجابا وسلبا،[1] وقد ينزل المصدق للخبر قبل إتمامه منزلة المتردد الشاك المتسائل، فيلقى إليه الخبر مؤكدا.

[1] ينظر: من بلاغة النظم العربي: ٧٥/١؛ علم المعاني. بسيوني عبد الفتاح بسيوني: ٤٣/١.

المبحث الثاني:أحوال الخبر الإسنادية

المطلب الأول:التقديم والتأخير:

المطلب الثاني: الحذف والذكر:

المطلب الثالث التعريف والتنكير:

المطلب الأول:التقديم والتأخير:

يعتبر التقديم والتأخير من الأساليب البلاغية الجميلة التي تفنن العرب في استعمالها في كلامهم وأشعارهم "دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام"[1]، وللتقديم والتأخير في كلامهم شؤون فيعبر به "إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع،...وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه...وإما لقصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب"[2]، ويظهر في تراكيب الجملة سواء فعلية أو اسمية، والذي عادة ما يظهر في المسند، ومتعلقاته الخبر "الظرف والجار والمجرور"، والتقديم والتأخير أيضا من الأساليب التي نزل بها القرآن الكريم، والآيات التي جرت على هذا الأسلوب كثيرة، مما بين أثره في التفسير.

أولا:التقديم والتأخير السياقي:

ويؤتى في النص لتحقيق التناسب بين المقام والسياق، ولتأكيد مضمون الآيات التي ورد فيها، وله اعتبارات منها:

"أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى"[3]:

كالذي ورد في قوله تعالى:﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[4] فإنه لو أخر قوله﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ فلا يفهم أنه منهم"[5].

---

[1] البرهان في علوم القرآن محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله. تح محمد أبي الفضل إبراهيم: ٢٣٣/٣. د.ط. (دار المعرفة. بيروت – لبنان ١٣٩١).

[2] معترك الأقران في إعجاز القرآن. الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي. ضبطه وصححه وكتب فهارسه/أحمد شمس الدين: ١٢٨/١. ط.١. دار الكتب العلمية بيروت . لبنان. ١٩٨٨م).

[3] البرهان في علوم القرآن:٢٣٣/٣.

[4] سورة غافر الآية ٢٨

[5] البرهان في علوم القرآن:٢٣٣/٣

"مناسبة الخطاب للأحداث الواقعية[1]:

والذي يتصل بهذه الظاهرة له علاقة ترتيب الخطاب بزمن الخطاب، كما أن له أبعادا أخرى، جمالية وصوتية، ومن أمثلة اتساق الخطاب مع توالي وقائع السياق الخارجي ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] قدم في بيان أقوالهم اليهود على النصارى مراعاة للترتيب الزمني، فاليهود هم الذين آمنوا بموسى عليه السلام وأما النصارى فهم الذين آمنوا بعيسى عليه السلام.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[3]ففي الآية انتقل من التحدث عن بني إسرائيل في أفعالهم مع رسول الله موسى عليه السلام، بما قابلوه في قبول الشريعة، وبعد موته حتى قرب مجيء الإسلام، إلى التحدث عنهم بسوء مقابلتهم للرسل الذين أتوا بعد موسى عليه السلام، ثم جاء عيسى مؤيدا ناسخا ومبشرا فكانت مقابلتهم بالإعراض، وهذا حجة عليهم في أن تكذيبهم للدعوة المحمدية مكابرة، ثم إنه خص من بين الرسل بالاسم عيسى عليه السلام، زيادة في التنكيل بمن كفر به من اليهود، وعبر عن الباقين

---

[1] ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق. خلود العموش:٢٦١. ط١ (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م. عالم الكتب الحديثة. الأردن).

[2]البقرة الآية ١١٢.

[3]البقرة الآية٨٧

بصفتهم الرسل لأنهم لم يأتوا بشرع جديد[1]، وقد جاء الترتيب القرآني بناء على الزمن الخطابي للوقائع الاجتماعية.

ومن ظاهرة التقديم السياقية ما ورد في قوله تعالى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]إنما قدم موسى على ذكر أخيه لأنه المصطفى أولا، وقدم القبلة على الأمر بإقام الصلاة لأنها تطلب أولا، فكان الترتيب مناسبا من حيث حدوث الأولوية فيه.

مناسبة التقديم والتأخير لحال المخاطبين[3]:

ففي قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[4]إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[5]جاء فيه تقديم ما حقه التأخير من حيث ترتيب الأحداث، فلو كان القول لمراعاة ترتيب الأحداث لكانت الآية:﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أول القصة ولكنه أخر في الترتيب، مراعاة لحال المخاطبين حيث كانوا على اختلاف في القاتل قبل الذبح، فلما قال تعالى:﴿اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ علم المخاطبون أن الذبح إنما هو ليدل على القاتل المجهول بينهم، فلما استقر هذا

---

[1] ينظر: التحريروالتنوير ١/٥٩٤

[2]سورة يونس الآية٨٧

[3] ينظر: الخطاب القرآني:٣١٦

[4]البقرة الآية ٦٧

[5]البقرة الآية٧٢.

الأمر في النفوس استؤنف القول[1]:﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

مناسبة اللفظ من حيث التقديم والتأخير[2]:

ففي قوله تعالى:﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[3] فمن التناسب أن يقدم لفظ التكذيب وهو الأقل استفظاعا وجرما على لفظ القتل الذي يعتبر من أكثر الأمور فظاعة.

مناسبة ترتيب الألفاظ للاستهلال:

وذلك كما في قوله تعالى:﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[4] فقد جاءت الآية على ترتيب تصاعدي بين أمرين الدنو والهبوط، فحسن الاستهلال فيه مراعاة لحال المخاطبين وبيان موقفهم، تمهيدا لما هو أشد، فكان من الدنو ضرب الذلة والمسكنة، ومن التصاعد فيه البوء بغضب من الله، ثم فصل مرد الذلة والمسكنة للكفر بآيات الله وسبب البوء بالغضب هو قتل الأنبياء بغير الحق، فكان ترتيب الجزاء مبني على ترتيب تحقيق تلك التصرفات منهم، وقد راعى في الترتيب المشهد التصاعدي، فكان من مناسبة ألفاظ هي من التقديم والتأخير.

---

[1] ينظر: معترك القران في إعجاز القرآن: ١/١٣٠

[2] ينظر: الخطاب القرآني:٣١٦

[3] البقرة الآية٨٧.

[4] البقرة الآية٦١.

تقديم تفصيل الأمر وتأخير التركيب الذي تم تفصيله[1]:

ورد ذلك في قوله تعالى:﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

استحضر المشار إليه بماله من أوصاف٣، قدم تفصيل أصحاب النار تشويقا واستيفاء، ثم كانت علاقة التعريف بالإشارة واصلا بين المجمل والتفصيل، فقدم التحليل بقوله﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾والتركيب المؤخر وارد في قوله:﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ" ثم أردف الحديث في بيان المعنى المضاد بذات الآلية في قوله﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

---

[1] إرشاد العقل السليم:١/١٢٢.

[2] البقرة الآية٨١– ٨٢.

[3] إرشاد العقل السليم: ١/١٢٢– ١٢٥.

ثانيا: التقديم والتأخير الإسنادي:

التقديم والتأخير بين المسند والمسند إليه:

ومن بين المقامات التي ظهر فيها فن التقديم قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] التقديم في قوله" لكم الدار الآخرة" حيث إن "خبر كانت مقدم للحصر بناء على اعتقادهم"[2] في الجملة الاسمية، والمعنى" إن كان لكم نعيمها وحظوتها فتمنوا الموت"[3]،" "والكلام في (لكم) مشعر بأن المراد من الدار الآخرة نعيمها"[4] واعتقادهم هذا مبني على أنهم ليسوا كبقية البشر فلم يكونوا بمثابة من يتتبع غيره.

كما ورد التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5] تجد أن الجار والمجرور قد تقدم على المسند إليه في قوله﴿ فَلَهُ أَجْرُهُ"، ففيه تقرير الأجر لمن أسلم وجهه لله وهو محسن، واختصاصه به وقال الله سبحانه﴿ بلي من أسلم وجهه..."نفيا لحكمهم "لن يدخل الجنة إلا من كان.." الوارد في نسبة فعل الدخول للجنة إليهم دون غيرهم، فدل ذلك التقديم في قوله ﴿فله أجره" على أن المطلوب التقرير بتلك الصفات لا كونه يهوديا أو نصرانيا، مع ما تضمنه التقديم من معنى التخصيص، إشارة إلى أن من أسلم وجهه لله وهو محسن هو

---

[1] البقرة الآية٩٤.

[2] التحرير والتنوير:١/٦١٤

[3] المحرر الوجيز ابن عطية الأندلسي. تح عبد السلام عبد الشافي محمد: ١/١٦٤. ط١(دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م).

[4] التحرير والتنوير:١/٦١٤

[5] البقرة الآية١١١– ١١٢.

حقيق بالأجر، "وإسلام الذات لله هو تسليم الذات لأوامر الله تعالى...وهو محسن...جملة حالية لإظهار أنه لا ينبغي إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص لا نجاة إلا بهما"[1].

ومثله من التقديم للاختصاص ما ورد في ختام الآية من قوله:﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ومن القول في التقديم للتوبيخ والتشنيع ما ورد في قوله تعالى:﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[2].

وهو محرم عليكم جملة حالية مصدرة بضمير الشأن و"محرم" خبر مقدم و"إخراجهم" مبتدأ مؤخر، وفي تقديم الخبر "تشنيع وتبليد لهم إذ توهموا القربة فيما هو من آثار المعصية أي كيف ترتكبون الجناية وتزعمون أنكم تتقربون بالفداء وإنما الفداء المشروع هو فداء الأسرى من أيدي الأعداء، لا من أيديكم فهلا تركتم موجب الفداء"[3].

ومما جاء فيه التقديم لتعجيل أمر ما قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4]، فورد التقديم في قوله﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ حيث تقدم المتعلق بالخبر(فيها) على (خالدون) من باب التعجيل بالمساءة أو التشاؤم[5]، إذ مهد هذا التقديم للحكم المنتظر، كما أن فيه مزيد التأكيد للفصل في الحكم

---

[1] التحرير والتنوير ١/٦٧٤-٦٧٥

[2] البقرة الآية٨٥.

[3] التحرير والتنوير ١/٥٩٠

[4] البقرة الآية٨٠.

[5] ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم. منير محمود الميسري (دراسة تحليلية) تقديم عبد العظيم المطعن وعلي جمعة: ٥١(مكتبة وهبة. القاهرة- مصر).

و الذي جاء فيه "القصر المستفاد من التعريف في قوله:﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قصر إضافي لقلب اعتقادهم"[1].

ومما جاء فيه التقديم لمعنى الاختصاص قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[2].

خطاب لأهل الكتاب في صورة المستنكر عليهم محاجتهم في شيء بدهي لا يشك فيه، ثم ارتقى الخطاب وترفع عن محاجتهم، إذ جاء القول على صورة التقديم في قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ فقدم متعلقات الخبر، للاختصاص مفيدا اختصاص المتكلمين واحتراسا لدفع توهم المشاركة بينهما في الأعمال[3].

١. التقديم والتأخير بين المفعول به والفعل:

يتقدم المفعول وهو أحد متعلقات الفعل لأسباب عدة منها للتشريف والتعظيم كالذي ورد في قوله تعالى:﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[4].

لقد اجترح أهل الكتاب أسوأ الأفاعيل حين واجهوا رسل الله بالتكذيب والقتل وقد عبر الخطاب موبخا لهم على ما اجترحوه في قوله تعالى:﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾وقد صدر القول بـ"الاستفهام للتعجيب من طغيانهم

---

[1] التحرير والتنوير ٥٨١/١

[2] البقرة الآية١٣٩.

[3] ينظر: التحرير والتنوير ٧٤٦/١

[4] البقرة الآية٨٧.

ومقابلتهم جميع الرسل ...بمقابلة واحدة"[1]، ثم إنه عبر عن جرمهم وموضع استكبارهم بقوله:﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

البقرةفقدم فيها المفعول به ﴿فريقا﴾ على عامله التكذيب والقتل، والسر في التقديم التشريف وبيان عظم مكانة الفريقين عند الله، ولتصوير شناعة ما يقدم عليه أهل الكتاب من جرأة على أنبياء ورسل الله "جاء في تقتلون بالمضارع عوضا عن الماضي لاستحضار الحالة الفظيعة وهي حالة قتلهم رسلهم"[2].

ومنه ما ورد للاختصاص في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[3]إن في تقديم المفعول به ضمير الفصل في قوله:﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾على عاملة إفادة للتخصيص، فهو"متعين للاختصاص ليحصل من الجملة إثبات ونفي...ولما كانت رهبتهم من أحبارهم تمنعهم من الإيفاء بالعهد أدمج النهي عن رهبة غير الله مع الأمر برهبة الله تعالى في صيغة واحدة"[4].

---

[1] التحرير والتنوير ٥٩٦/١

[2] المصدر نفسه: ٥٩٨/١

[3] البقرة الآية٤٠.

[4] التحرير والتنوير ٤٥٤/١

المطلب الثاني: الحذف والذكر:

أولا: الحذف:

الحذف لغة: "حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعه من طرفه، قال الجوهري: حذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت. وفي الحديث حذف السلام في الصلاة سنة، هو تخفيفه وترك الإطالة فيه[1].

واصطلاحا:هو الذي يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة[2]؛ أي" تقليل الكلام، وتخفيف المؤونة على المستمع أو المخاطب،...فالحذف إحدى خصائص العربية، وآية عبقريتها ومواطنه منوطة بجوامع الكلم"[3]وفي ذلك قال عبد القاهر الجرجاني﴿فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[4].

فهو في خالص أمره ظاهرة بارزة في سياق الكلام العربي، له قيمته الجمالية، كما أنه يسهم بيانيا في السياق، وقد وظف القرآن الكريم الحذف فهو في خالص أمره ظاهرة بارزة في سياق الكلام العربي، له قيمته الجمالية، كما أنه يسهم بيانيا في السياق، وقد وظف القرآن الكريم الحذف لتلوين الخطاب المبني على ما يفيده المقام، والتعبير القرآني قد يوظف حرفا أو كلمة أو جملة في سياق آية ثم يحذف هذه في آية أخرى مشابهة للأولى، فيكون للذكر والحذف مقاصده في كل من الآيتين، مبرزا المقصود في

---

[1] لسان العرب أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. د.تح. مادة (ح ذ ف) ط١ (دار صادر. بيروت – لبنان. ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م. ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) .

[2] معجم البلاغة العربية. بدوي طبانة: ١٥٥. ط٤ (دار المنار. دار ابن حزم. ١٤١٨=١٩٩٧).

[3] مجلة علوم اللغة (بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط دراسة بلاغية موجزة لدواعيه وأسبابه): ٦١/٩.

[4] دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. صحح أصله: محمد عبده وآخرون: ١١٢.د.ط (دار الكتب العلمية. بيروت–لبنان. د ت).

سياقه البياني فيهما معا، ومن ذلك ما نلمسه في قوله تعالى:﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

ذكر في الآية الأولى الواو وحذفه في الآية الثانية، مراعاة للمقام، ففي سورة البقرة كان المقام في ذكر النعم وتعدادها فناسب ذلك ما في الواو من معنى الجمع، وفي الأعراف كان السياق في التوبيخ والمذمة فناسب فيه حذف الواو[3]، ومما جاء فيه حذف الواو وذكره أيضا في الآيتين لسر بلاغي قوله تعالى:﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[4]وقوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾[5]ففي الآية الأولى إنما جاء القول في سياق التذكير بظلم آل فرعون لهم، وفي الآية الثانية جاء القول في سياق التذكير بنعم الله عليهم[6]، ويمكننا تلمس سياقات التلوين بالحذف في القرآن الكريم من خلال التالي:

١. حذف المسند إليه:

ويقصد به الركن الأعظم والمتمثل في المبتدأ والفاعل في الجملة والذي يندر حذفه منها، باعتباره جزءا من الأسلوب لوجود دليل عليه بالفهم والإدراك[7]؛ وتتعدد

---

[1] الأعراف الآية ١٦١.

[2] البقرة الآية ٥٨.

[3] ينظر: معترك الأقران. ١:٦٨

[4] البقرة الآية ٤٩

[5] سورة إبراهيم الآية٦

[6] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. عبد العظيم المطعني: ٢/١٢-١٣. ط١ (مكتبة وهبة. القاهرة. ١٤١٣هـ=١٩٩٢م).

[7] ينظر: مجلة علوم اللغة (بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط دراسة بلاغية موجزة لدواعيه وأسبابه)٩/٦١.

الأسباب الداعية إلى الحذف في السياق، فقد يكون الحذف "ليؤمن شره إشعارا بأنه بلغ منالفخامة مبلغا لا يمكن ذكره، أو بلغ من الفظاعة إلى حيث لا يقتدر المتكلم على إجرائه على اللسان أو السامع على استماعه"[1].

وهكذا يحذف المسند إليه عند قيام قرينة دالة عليه سواء كانت القرينة حالية أو مقالية، إذ لابد من قرينة إما مرجحة وهي ضيق المقام أومجوزة وهي دلالة المقام[2]، فيكثر حذف المبتدأ بوجود القرينة المرجحة، بحيث يحذف لإنكار أن لا يصلح الخبر لغيره حقيقة، أو ادعاء؛ أو يحذف لامتحان السامع أو مقدار تنبيهه، وقد يكون الحذف لصونه عن اللسان تعظيما له، أو صون اللسان عنه تحقيرا له[3]، وتعتبر أحوال الحذف هذه من مألوف الحذف ومن المقامات الداعية له.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]"حطة" خبر لمبتدأ محذوف معلوم من المقام، والتقدير "مسألتنا أو شأننا حطة"، وانظر قوله﴿حطة﴾ "خبر ابتداء تقديره طلبنا حطة"[5]، فقد حذف المسند إليه مسألتنا، والمعنى:أي مسألتنا أوشأنك أو يا ربنا أن تحط عنا ذنوبنا"[6]، فليس عين المقول هو المطلوب وإنما الغرض منه إظهار توبتهم، ففيه إضافة إلى ذلك إشعار ببساطة وخفة المفروض عليهم، ومع ذلك أذنبوا موجب السخط وإنزال العذاب لشدة غبائهم وجهلهم.

---

[1] مجلة علوم اللغة: ٩/ ٦١.

[2] ينظر: أسرار النحو. ابن كمال باشا. تح أحمد حسن حامد. :١١٣. ط٢ (دار الفكر.١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م).

[3] ينظر: المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

[4] البقرة الآية ٥٨

[5] المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي:٤٦٦/٢.

[6] روح المعاني :٢٦٦/١.

ويحذف المبتدأ تقليلا لشأنه ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى:﴿...وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا﴾[1]والتقدير﴿آلهة﴾ فكان لحذف المبتدأ سر بلاغي ينطوي على التحقير والتقليل من أمر المحذوف، فالنصارى اعتقدوا بتثليث الإله، مع تفصيلات كثيرة وعلى مسميات شتى، ولكن في عموم اعتقادهم أن الآلهة ثلاثة لا غير، فكان في حذف المبتدأ فائدة احتواء النهي لجميع تصاريفهم في التثليث[2].

وتركت الصفة المتجلية في التثليث في السياق، للاهتمام بها كونها محور الحديث، ومن منطلق كون الصفة قد تساوي الموصوف معرفة ولما كان القول في معرض التوحيد تكاد القرينة الحالية تهيمن ترجيح المحذوف وتخلع عنه ثوب السبب المعنوي للحذف، وهذا القول فيه إبانة عما حذف[3]:﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[4]، ومما جاء فيه حذف الفاعل لغرض صون مقامه وتعظيم شأنه قوله تعالى:﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾[5] والشاهد في الآية أنه لم يصرح بفاعل (ضُرِبَتْ) والتقدير: وضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، ولما كان السيء لا ينسب لله تعالى، كان في حذف الفاعل المتمثل في لفظ الجلالة أتم للبيان، كما أن في ذلك إشارة لبيان مسبب الذلة والمسكنة، وهو الأمر المستكن في نواياهم، إذ جل الأمر من تسخيرهم هم وهو أمر لا يعود عليهم بالنفع التام

٢. حذف المسند:

---

[1] النساء من الآية ١٧١.

[2] ينظر: التحرير والتنوير: ٤/٥٤-٥٥

[3] ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٠٩.

[4] النساء من الآية ١٧١

[5] البقرة الآية ٦١

ومن نكت حذفه قيام قرينة عليه، كقوله تعالى:﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

والتقدير تتبع، فكأن اليهود والنصارى قالوا:(اتبعوا اليهود والنصارى)، فكان قد أضرب في الرد عليهم بالقول﴿ بل ملة إبراهيم"، وكان على الحذف للفعل على تقدير :بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا[2]، والمسوغ للحذف دلالة المقام عليه وفيه بيان أنهم رغم اختلافهم فهم متفقون على تتبع ملة إبراهيم عليه السلام[3].

"وقد يكون السر البياني في حذف الفعل هو الاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[4]فقد حذف الفعل في الآيتين"[5] والتقدير: إياي فارهبون ارهبون وإياي فاتقون اتقون، لفائدة الاختصاص فكان في الفعل المفسر للفعل المحذوف مزيد تأكيد[6].

وقد يحذف المسند للعلم به كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[7]فحذف خبر لولا للعلم به والتقدير: لولا فضل الله حاضر

---

[1] البقرة الآية ١٣٥

[2] ينظر: روح المعاني: ٣٩١/١.

[3] ينظر: التفسير الكبير: ٧٣/٢.

[4] البقرة الآية ٤٠-٤١

[5] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. عبد العظيم المطعني: ٢٤/٢.

[6] ينظر: المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

[7] البقرة من الآية ٦٤

أو موجود، ومثله ماجاء في قوله تعالى﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية" والمقام هنا يفيد التحضيض.

وقد يكون في الكلام مقول لقول محذوف ومنه ما نلمسه في قوله تعالى:﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] والخطاب هنا يسوق أخبارا لأهل الكتاب عن أسلافهم، ومن الدلالات الثابتة في نص الخطاب القول المحذوف، ففي "قوله: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ مقول لقول محذوف لأن المخاطبين حين نزول القرآن لم يؤمروا[2]، فكان دلالة على أنه مقول قول محذوف ومنه كثير في ثنايا الخطاب، والمحذوف يدل عليه نظم الكلام.

٣. حذف المفعول به:

و"المفعول به إذا حذف خصوصا، فإن الحاجة إليه أمس وهو بما نحن بصدده أخص، واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"[3].

ويعتبر شد الانتباه لمعنى الفعل نفسه وبثه في نفس السامع، وتحقيق معناه عند الإخبار هو الغرض الأساسي في حذف المفعول به[4]، وقد يظهر المعنى المقصود

---

[1] البقرة الآية ٥٧

[2] التحرير والتنوير ٥١٠/١

[3] دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني: ١١٨.

[4] ينظر: المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

بقرينة ما، فيستغنى عنه ليستقيم الكلام، بـ"أن يكون مقصودا مع الحذف فينوى لدليل...والغرض حينئذ بالحذف أمور"[1]

ومن أغراض حذفه دلالة السياق عليه، نلمس ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]

فقد حذف المفعول به هنا للإيجاز تخفيفا لطول الكلام والتقدير"آتيناكموه" "ولولا إرادة المفعول وهو الضمير لخلت الصلة من ضمير يعود على الموصول، وذلك لا يجوز"[3]، فالحذف ورد هاهنا تخفيفا فلو كان المحذوف مذكورا لوجد ثقل في النطق به، وانعدمت السلاسة في الآية.

ومثله ما ورد في قوله تعالى:﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[4].

فحذف المفعول وهو الضمير والتقدير: وآمنوا بما أنزلته"، فحذف تخفيفا، وتحقيقا لسر الإيجاز، فانظر لسلاسة اللفظ ومرونة التنقل بين الكلمات وشدة التصاقها فلو ذكر الضمير هنا لوجد تثاقل في السياق.

---

[1] البرهان في علوم القرآن: ٣/١٦٢-١٦٣

[2] البقرة الآية ٩٣

[3] البرهان في علوم القرآن: ٣/١٦٢-١٦٣

[4] البقرة الآية ٤١

كما يحذف المفعول اختصارا لدليل عليه في المقام ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] "مفعول تعلمون محذوف دل عليه ما تقدم، أي وأنتم تعلمون ذلك، أي لبستم الحق بالباطل والفعل غير منزل منزلة اللازم،لأنه إذا انزل منزلة اللازم دل على أنهم موصوفون بالعلم الذي هو وصف كمال،وذلك ينافي قوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾إلى قوله تعالى﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾إذ نفى عنهم وصف العقل فكيف يثبت لهم هنا وصف العلم على الإطلاق"[2]، فتأمل كيف يتحقق هذا المعنى وتتحقق رعاية الفاصلة في أوجز عبارة.

ومما جاء فيه الحذف لوجود ما يدل عليه قوله تعالى:﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بيان ذلك أن "العجل مفعول به أول والمفعول الثاني محذوف، لأنه مفهوم من سياق الكلام أي إلها[3]، ومع ثبات علة الحذف فإن الحذف جاء متضمنا معنى آخر وهو تقليل شأن المحذوف، حيث أهمل ذكره لتحريك الذهن إلى أمور أهم من الانتباه إلى ما دل عليه السياق، فكأن فيه إشعارا بأنه من المعتاد عنهم اجتراح هذا المنكر، والأعظم عفو الله عنهم.

---

[1] البقرة الآية ٤٢

[2] التحرير والتنوير ٤٧٢/١

[3] إعراب القرآن. وبيانه. محيي الدين درويش ١٥١/١. ط٤. (دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، دار اليمامة – دمشق – بيروت، دار ابن كثير – دمشق – بيروت. ١٤١٥ هـ).

ثانيا: الذكر:

يستدعيه المقام والسياق؛ فلو تأملت في الأخبار لوقعت على مواضع شرع فيها المخاطب بالذكر معإمكانية الحذف، وللمخاطب في اختيار الذكر حكما[1]، ولا سيما إذا كان الخطاب قرآنيا.

اقرأ إن شئت قوله تعالى في صفة أهل الكتاب مخاطبا لهم﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

"يقول الله تعالى: توبيخًا لبني إسرائيل وتقريعًا لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى، وإحيائه الموتى﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلك﴾كله﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ التي لا تلين أبدًا"[3]، ولبيان فضل الحجارة على قلوبهم القاسية، تكرر "لما" للتوضيح والتنبيه على إثبات الحكم في حقهم والتشهير بهم لمثالبهم؛ حيث "قصد به إظهار زيادة قسوة قلوبهم عن الحجارة، لأن هذا الأمر لغرابته يحتاج إلى بيان سببه"[4]فكان من صور

---

[1] ينظر: خصائص التراكيب (دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني). محمد محمد أبو موسى: ١٤٢. ط٧. (مكتبة وهبة. القاهرة – مصر. د.ت).

[2] البقرة الآية ٧٤-٧٥

[3] تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. تح سامي بن محمد سلامة ١/ ١٠٥. ط٢. (دار طيبة. ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م).

[4] التفسير الوسيط. محمد سيد طنطاوي: ١/١٧٤.ط١.(نهضة مصر. ١٩٩٧م).

تقرير الحكم في ذهن السامع ذكر المسند إليه والمتمثل في الاسم الموصول، ولا يخفى عنك أنه جاء معززا بلام التوكيد وكأن الحكم قد بعث في النفس التعجب من حالهم فناسب الموقف تكرير المسند إليه لدفع التعجب ولتقرير الأمر.

المطلب الثالث: التعريف والتنكير:

فإن كان للتخصيص تقريب حكم وبيان فائدة فإن للتعريف كمالا لهذه الفائدة[1]، والتي يفهم منها ذات المعين ويفهم منها كونه معلوما للسامع بدلالة اللفظ على التعيين، والتعيين فيها إما بنفس اللفظ كما في العلمية، وإما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبية كما في الضمائر(...)، والتي تعد أعرف المعارف وقد يؤتى بها ولا تقصد لمعين[2].

وهذا لا ينافي وجود النكرة "والتي يفهم منها ذات المعين ولا يفهم منها كونه معلوما للسامع"[3] في بعض المعاني، ويجب الاطلاع على أن الخطاب يكون لأهل الكتاب من حيث أصل الإطلاق، من منطلق مبدأ المعارف تطلق لمعين، ثم إنه قد لا يقصد به هم فقط، ومن مظاهر التعريف والتنكير ما جاء في كلمة (الحق) معرفة ونكرة كل في سياقها في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[4] وقد وردت الآية المشابهة لها في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[5].

---

[1] بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. عبد المتعال الصعيدي:٦٢. (مكتبة الآداب.١٩٩٩)

[2] ينظر: جواهر البلاغة. السيد أحمد الهاشمي. تح محمد رضوان مهنا:١٠٨. ط١(مكتبة الإيمان.١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

[3] المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

[4] البقرة الآية٦١.

[5] آل عمران/٢١.

جاء السياق مشابها، ومما اختلفا فيه هو تعريف وتنكير كلمة الحق،فقيل لأن في قوله تعالى:﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1]. {البقرة}. "إشارة إلى الحق الذي أذن الله أن يقتل النفس فيه، وكان الأولى بالذكر لأنه من الله تعالى، أما في قوله تعالى:﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[2] جاء نكرة لأنه نابع عن معتقداتهم ودينهم"[3].

إن الروح المتحمسة عند الخطاب إذا ما انتبهت إلى القول فسمعت بعضه التفتت تطلعا لتمامه، وفيها شيء من قبس شغف يغمرها وحلاوة تذوق للمشاركة في احتواء هذا القول، فما بالك لو أيقنت أن للأسلوب منافذ شتى غير محدودة فمهما اقتبست فهما وجدت قصورا عن تمام القول، وفي شيء من هذه الآلية يقول العلوي﴿ إن النفس إذا وقعت على كلام غير تام بالمقصود منه تشوقت إلى كماله، فلو وقعت على تمام المقصود منه لم يبق لها هناك تشوق أصلا"[4].

أولا: التعريف:

ويتجلى في تراكيب عدة وهي:

١/التعريف بالصلة:

وهو أسلوب ظاهر في خطاب القرآن لأهل الكتاب، ومما جاء فيه التعريف بالصلة قوله تعالى:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[5] ففي قوله تعالى:﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ

---

[1] البقرة الآية٦١.

[2] آل عمران/٢١.

[3] الخطاب القرآني. خلود عموش/٣٢٢

[4] خصائص التراكيب /١٦١

[5] البقرة الآية ١١٣

﴿لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ تعريف بالصلة متضمن لمعنى التوبيخ، والتعجيب من حالهم، وجاء التعريف في سياق التشبيه لتشويه صورة المشبه به، حيث شبه حال أهل العلم اليهود والنصارى في قولهم هذا بحال المشركين باعتبارهم قد كذبوا كل الأديان[1].

ومما جاء فيه التعريف بالصلة دفعا للوهم، وإشارة إلى معلوم في ذهن المخاطب قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[2] فالذين ظلموا هم بعض من بني إسرائيل، ممن نزل بهم الرجز، "فعبر عنه بطريق الموصولية لعلم المخاطبين به بتلك الصلة... وإنما جاء بالظاهر في موضع المضمر...ولم يقل(عليهم) لئلا يتوهم أن الرجز عم جميع بني إسرائيل"[3].

ومثله ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[4] في هذه الآية خاطب الله سبحانه بني إسرائيل مبينا لهم أن المستبدل به أقرب منزلة وأدون قدرا وأصل الدنو القرب في المكان، فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة، وقرىء أدنأ من الدناءة[5]، ولبعده عن الخيرية جاء التعبير بالاسم الموصول **(ما)** في قوله **(ما سألتم)** فأغرق بعدا تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم، لأن الغالب في صلة الموصول أن يكون السامع عالماً باختصاصها بمن أجرى عليه الموصول، ولأن

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير ١/٦٧٦-٦٧٧

[2] البقرة الآية ٥٩

[3] التحرير والتنوير ١/٥١٦

[4] البقرة الآية٦١

[5] معاني النحو: ١/ ١١٠.

مثل هذا الأمر من شأنه ألا يخفى عليهم، فيكون الكلام تذكيراً بهذا الفضل العظيم، ويجوز أيضاً أن يكون إعلاماً بهذا الفضل وأجري الكلام بالموصول للتنبيه على أن الموصوف مختص بمضمون هذه الصلة، بحيث تجعل طريقاً لمعرفته، " ولا نسلم لزوم علم المخاطب باتصاف الصلة بمضمونها في التعريف بالموصولية بل ذلك غرض أغلبي كما يشهد به تتبع كلامهم"[1].

٢/التعريف بالإشارة:

يؤدي اسم الإشارة دلالة التمييز للمشار إليه كما ورد في قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[2].

فـ"الإتيان باسم الإشارة لتمييز المشار إليه أكمل تمييز ...وللتنبيه على أن المشار إليه حقيق بما سيذكر بعد اسم الإشارة من حيث إنه اتصف بتلك الأوصاف التي أشير إليه من أجلها"[3]، وفي الإشارة بالبعد إيذان ببعد منزلتهم من الربح وقربهم إلى الخسران، وفي التعبير بالتقديم على الخبر الفعلي في قوله: **(ولا هم ينصرون)** اختصاصهم بعدم النصر من عند الله، كما أن في التعبير بالمضارع دلالة على الاستمرارية في انقضاء الفعل.

"وأما دخولها فلأن المخاطب يحتاج إلى تنبيه على الاسم الذي يشير به إليه؛ لأن للإشارة قرائن حال يحتاج إلى أن ينظر إليها فالمتكلم كأنه آمر له بالالتفات إلى المشار إليه أو منبه له فلذلك اختص هذا الموطن بالتنبيه وقلما يتكلمون به في المبهم الغائب لأن كاف الخطاب يغني عنها مع أن المخاطب مأمور بالالتفات بلحظه إلى

---

[1] التحرير والتنوير: ٢/ ١٧١ -١٧٢

[2] البقرة الآية٨٦

[3] التحرير والتنوير: ١١/ ٨٨

المبهم الحاضر فكان التنبيه في أول الكلام أولى بهذا الموطن لأنه بمنزلة الأمر الذي له صدر الكلام"[1].

وللإفصاح في المعنى العام لاسم الإشارة عند تجريده مما قد يخرجه عن التعريف اللغوي _كاف الخطاب وأل_ تعرف أنه موضوع لمشار محسوس حاضر، وإذا ما دخل عليه أحدهما أو كلاهما أخرج عن القيد ليجمع بين الإشارة اللغوية والمجازية فيشمل الجانب الذهني٢.

"فكانت اللام حين الإشارة إلى البعيد وقد وجدت بمعنى الإضافة للشيء وهذا الموطن شبيه بها لأنك إذا أومأت إلى الغائب بالاسم المبهم فأنت مشير إلى من يخاطب ويقبل عليه لينظر إلى من تشير إما بالعين وإما بالقلب، وكذلك جئت بكاف الخطاب فكأنك تقول له لك أقول ولك أرمز بهذا الاسم ففي اللام طرف من هذا المعنى كما كان ذلك في الكاف وكما لم يكن الكاف هاهنا اسما مضمرا لم يكن اللام حرف جر وإنما كل منهما طرف من المعنى دون جميعه فلذلك خلعوا من المكان معنى الاسمية وأبقوا فيها معنى الخطاب واللام كذلك إنما اجتلبت لطرف من معناها الذي وضعت له في باب الإضافة ، وقد جاز أن يعمل فيه معنى الإشارة دون معنى التنبيه وكلاهما معنوي، على تقدير فعل مضمر انظر وأبصر لدلالة الحال عليه من التوجه واللفظ فهو على هذا التقدير قوي في الدلالة لاجتماع اللفظ مع التوجه[3].

---

[1] بدائع الفوائد. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. تح هشام عبد العزيز عطا وآخرين. ١:١٩٠- ١٩٣. ط١ (مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة. /١٤١٦هـ=١٩٩٦م) .

[2] حاشية الخضري على ابن عقيل. شرحه تركي فرحان المصطفى: ١/ ١٦٠. ط١ (دار الكتب العلمية. بيروت/لبنان. ١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

[3] بدائع الفوائد: ١/ ١٩٠- ١٩٢.

وقد حصرت جدواه الخطابية في التبعيد والخطاب، وفي ذلك تفصيل فإذا كانت مفردة اقتصرت دلالتها على التبعيد على حسب قصد القاصد[1]، "وإذا جئت بالكاف مطابقا أريد الخطاب قطعا إضافة إلى البعد[2].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3].

تبين الآية وصف ما أمروا به من قتل أنفسهم في اسم الإشارة المسند إليه في جملة معترضة للتحريض على التوبة؛ ليتقرر الحكم بخيرية ذلك الفعل لهم دون غيره، ولعل الباحث يجد التبعيد إنما هو عكس لكيفية استيعاب الأمر من عند السامعين.

لقد بين الله لنبيه عليه السلام وللأمة حقيقة أهل الكتاب العدائية، ثم استأنف القول عن طائفة منهم تخرج عن هذا الحكم، فقال:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[4]فكان الاستئناف ناشئا عن قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾[5]مع قوله: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾[6] لتضمنه أن اليهود والنصارى ليسوا يومئذ على شيء من الهدى"[7]؛ وإنما بين من منهم على الهدى وأثرى

---

[1] معاني النحو. فاضل السامرائي/٨٢.

[2] المصدر نفسه الصفحة ذاتها

[3] البقرة الآية٥٤

[4]البقرة الآية١٢١.

[5]البقرة الآية١٢٠.

[6]البقرة الآية١٢٠.

[7] التحرير والتنوير ٦٩٦/١.

الخطاب فأشار إليهم كما يشار للمحسوسات وكأن مقامهم ظاهر فوق الأشهاد رفعة، حتى بات محسوسا للعيان، وفي الإشارة خصوصية أتاحت بيان صفات من يؤمن به عليه الصلاة والسلام.

وفي قوله :﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ "جيء باسم الإشارة في تعريفهم دون الضمير وغيره للتنبيه على أن الأوصاف المتقدمة التي استحضروا بواسطتها حتى أشير إليهم باتصافهم بها هي الموجبة لجدارتهم بالحكم المسند لاسم الإشارة...فلا شك أن تلاوتهم الكتاب حق تلاوته تثبت لهم أَوْحَدِيَّتهم بالإيمان بذلك الكتاب لأن إيمان غيرهم به كالعدم"[1]، وقد أمعن في تحديد هذا المعنى بصرف القول إلى من يخالفهم: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2] حيث انتهى عند قوله (يؤمنون به) ثم أتى بشرط مبدوء بمقابلة هذا الإيمان لينحدر البعد إلى الانحطاط في آخر الآية؛ إذ الكفر يدخل في حيز الخسران، ومن هنا ينبغي الإشارة إلى أمر معنوي كما يرى الباحث، إذ بيان حال من يكفر مسألة تكميلية لا يتم السياق بدونها، فالوقوف عند (يؤمنون به) لم يظهر مكانتهم بوضوح بقدر بيان القول في عاقبة من يكفر.

وفي سياق الخطاب التالي عبر باسم الإشارة على النقيضين أصحاب النار وأصحاب الجنة فقال:﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

---

[1] المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

[2] البقرة الآية ١٢١.

[3] البقرة الآية ٨١-٨٢

وقد كان "لإيراد اسم الإشارة الدال على البعد استحضار المشار إليه بماله من الأوصاف للإشعار بعليتها لصاحبية النار"[1]؛ وقصد لبيان إيغالهم في الضلال، وفي استخدام الإحاطة للخطيئة صفة أخرى موجبة لاستحقاق الصاحبية وهذا من بليغ المعاني في استظهار الحال، "وإنما لم يخص الجواب بحالهم بأن يقال مثلا بلى أنهم أصحاب النار الخ لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل"[2].

ومما جاء فيه التعبير باسم الإشارة قوله تعالى:﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

أسند الأمة في صفة النكرة إلى اسم الإشارة في قوله: (تلك أمة قد خلت) وهو الدال على البعد مما يسمح بزيادة تقرير و"تحذير عن الاقتداء بها"[4]، كما أن لاسم الإشارة خاصية تمكين التفصيل في القول وبيان بعض صفات المشار إليه.

ومثله ما ورد في قول: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[5]فكان في التعبير باسم الإشارة الدال على البعد غاية لإيقاظ الذاكرة بكل ما سيق في السياق من تفاصيل.

---

[1] إرشاد العقل السليم: ١/١٢٢- ١٢٥.

[2] المصدر نفسه الصفحة ذاتها

[3]البقرة الآية١٤١.

[4]أنوار التنزيل و أسرار التأويل . البيضاوي: ١/ ٤١٥. ط١ (دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م).

[5] البقرة الآية٢٥٢

ومن التعريف بالإشارة ما جاء في قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾[1]حيث"جيء بالإشارة لإشهارهم لئلا يخفى أمرهم على الناس وللتنبيه على أن ما يخبر به عن اسم الإشارة استحقوه بسبب ما ذكر قبل اسم الإشارة"[2].

٣/التعريف بالإضمار :

"وأما الحالة التي تقتضي كونه مضمرا فهي إذا كان المقام مقام حكاية، وحق الخطاب أن يكون معه مخاطب معين ثم يترك إلى غير معين حيث يمتنع خفاؤها فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤيا له مدخل في هذا الخطاب"[3].

ولأن المقام مقام المخاطب فقد وجه الخطاب بضمير الخطاب أنتم، انظر قوله تعالى:﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4].

لقد تناولت الآيات بني إسرائيل وتعددت الأساليب الخطابية الموجهة من الله إليهم، ومن تركيب تلك الخطابات قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5]خاطبهم السياق بالنهي عن أكثر أنواع الضلال وهو"اللبس مبدأ التضليل والإلحاد"[6]وكان لتعريف المسند إليه بالإضمار دلالته التركيبية، فقد أمرهم الله بالبعد عن

---

[1] البقرة من الآية ١٧٤

[2] التحرير والتنوير ١٢٣/٢

[3] مفتاح العلوم. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب: ٣٧٠. ط٢. (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م).

[4]البقرة الآية٤٢-٤٤

[5] البقرة الآية٤٢

[6] التحرير والتنوير ٤٧١/١

تلك الأفعال"وقوله:(**وأنتم تعلمون**)حال وهو أبلغ في النهي لأن صدور ذلك من العالم أشد"[1].

وجاء الفعل ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ مصدرا باستفهام توبيخي يبعث في نفس السامع التعجب منهم" وذلك لأن الحالة التي وبخوا عليها حالة عجيبة لما فيها من إرادة الخير للغير وإهمال النفس منه فحقيق بكل سامع أن يعجب منها"٢ كما أن الخطاب المباشر بالضمير في عمومه هو تشهير بأحوالهم التي تقر سلوكيات خاصة؛ ومن عظيم التوبيخ تتميم القول بـ(أفلا تعقلون) فجعل "وكأنكم بهذا الفعل أنتم مسلوبو العقل"٣

وهذه الآيات تبين ما للتعريف بالضمير في هذا المسلك من لطائف، فتأمل حال الحكم في قوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[4].

وناسب القول تعريف المسند إليه بالإضمار الدال على الغيبة التفاتا لما سبق من مسألة النعمة المصرح بها في الأفضلية وبيانا لانضباطها بالدنيا فيما مضى، وقد كان به دلالة إبعاد لهم بعد ما اجترحوه من أفعال تخرجهم عن تلك الأفضلية وقد تتابع القول عنهم بلفظ الضميرين العائدين على النفس في سياق تأييسهم من النجاة من

---

[1] المصدر نفسه: ٤٧٢/١

[2] المصدر نفسه: ١/ ٤٧٥.

[3] الكشاف. الزمخشري ١٦٢:١.

[4] البقرة الآية ٤٨

عقاب الله " ليكون الضمير في قوله "ولا هم ينصرون" راجعا مرجع الضميرين قبله. وهذا التأييس يستتبع تحقير من توهمهم الكفرة شفعاء"[1].

ومن بين تداعيات تلك الأفضلية قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[2].

يخاطب الله تعالى أهل الكتاب من بني إسرائيل على نعمة الإنجاء من آل فرعون، خاتما الآية "بجملة حالية من الفاعل وهو ضمير الجلالة في فرقنا وأنجينا وأغرقنا"[3]، جملة حالية اسمية مصدرة بضمير يدل على مباشرة الخطاب، ليكون المقام محاجة حققت انتقالة للحاضرين تضمينا لهم؛ حيث أنه من عليهم على حد سواء بأن أبقاهم بإنجاء أسلافهم ليكون المقصود "أي ببصائركم الاعتبار؛ لأنهم كانوا في شغل عن الوقوف والنظر بالأبصار؛ وقيل : المعنى وأنتم بحال من ينظر لو نظر؛ كما تقول: هذا الأمر منك بمرأى ومسمع؛ أي بحال تراه وتسمعه إن شئت"[4] وقد تعلم أن العلاقة المجتمعة بين الاسمية والمضارعة زيادة في معنى الاستمرارية مما يوسع دائرة الخطاب إلى غير معين للاعتبار، مع بيان مدى سوء حالهم الراهن مما يقحمهم في سلبي الطباع.

فأنت ترى في الآية التي تليها ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[5] الوصف مغايرا حيث وصفهم حال وقوع فعل اتخاذ العجل بالظالمين،

---

[1] التحرير والتنوير ٤٨٦/١

[2] البقرة الآية ٥٠-٥١

[3] التحرير والتنوير ٤٩٦/١

[4] الجامع لأحكام القرآن. القرطبي: ٢٦٧/١. ط١/ (دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م).

[5] البقرة الآية ٥١

فأنت ترى أنه وصف حالهم فقال مرة (تنظرون) ومرة (ظالمون) ولذلك سبب ففي الآية الأولى المقام لذكر النعم فلفت السامع المعين وغيره بحالهم وما وجب عليهم حيال الأمر فأعزاه للعقل وختمت الآية بخطاب مباشر مصدر بأنتم تنظرون، ثم والتي تفيد التراتب في توالي الأحداث كانت الرابط ليتضح المشهد كما هو وقد تنبه السامع زيادة على الخطاب المباشر وإلى ما سيؤول إليه حالهم بعد ذلك الانتهاك السافر فجاءت الصيغة (وأنتم ظالمون) في جملة واصفة وكأنما هي نتيجة معروفة، تحمل في طياتها مقام "إخبار أن سجيتهم الظلم"[1] فليس بغريب عليكم ما فعلتموه.

ومما جاء فيه التعريف بالإضمار قوله تعالى:﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ . . .الآية﴾[2].

أمر الله بني إسرائيل بأمور جاءت في صورة مواثيق فكانت ضمن المطلوب الديني من العباد حيث احتوت أمورا أخلاقية في المعاملات وهي أساسيات في كل الأديان السماوية، وقد ابتدأ القول بإخبار عن بي إسرائيل السابقين، وعند الرابط (ثم) الدال على التراتب والتراخي التفت القول إلى الخطاب المباشر، مما يحيل القول إلى التعميم وندرك ذلك أكثر من خلال ضمير الخطاب (أنتم) فكان التعريف بالإضمار بابا لتنزيلهم منزلة أسلافهم زيادة تشديد في التوبيخ أي أعرضتم ورفضتم إلا قليلا من أسلافكم[3]، الجملة تذييلية أي أنتم قوم عادتكم الإعراض فكما أعرض أسلافكم فهذا

---

[1] روح المعاني ٢٥٨/١

[2] البقرة الآية٨٣- ٨٤.

[3] ينظر: إرشاد العقل السليم١٢٣/١-١٢٤

ليس ببعيد عنكم، واستمر الخطاب في مباشرته لهم بقوله ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾"فضمير أنفسكم للمخاطبين حتما إذ المحذور إنما هو إخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث أنهم مخاطبون بناء على تنزيل أنفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع"[1]، من باب الصلة الحقيقية بينهم من منطلق الذات،ثم أقررتم أي بالميثاق (وأنتم تشهدون) توكيد للإقرار وقد صدر بالضمير احترازا من توهم خلوص القول للأسلاف كما أن إسناد تشهدون تحمل دلالة الاستمرارية مبالغة في تأكيد إشهادهم، "كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وأنتم أيها الحاضرون تشهدون اليوم على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق"[2]، ثم خص القول للحاضرين (ثم أنتم هؤلاء) فباعتبار ما أسند إليهم مسبقا اتخذ الخطاب نفس الوتيرة فعرف المسند إليه بالإضمار(أنتم) لبيان أنها نفس الذات المخاطبة، وباعتبار ما سيحكي عنهم خص اسم الإشارة فقال:(هؤلاء) فكان تعبيرا ينم عن اختلاف الذات[3]، فهاتان صفتان ساقهما المعنى توبيخا واستبعادا فكان لاجتماع التعبيرين مبالغة، (وهو محرم)جاءت الجملة وقد "صدرت بضمير الشأن للاهتمام بها وإظهار أن هذا التحرين أمر مقرر مشهور لديهم"[4]في مقام التأكيد على حرمة الإخراج وأن لا تساهل فيه فمن باب أولى القتل "ولأن مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض أفعالهم معا وذلك مختص بصورة الإخراج"[5] فكان في الإضمار مقصده البلاغي.

---

[1] المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

[2] المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

[3] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/ ٣٥٥.

[4] التحرير والتنوير ١/٥٩٠

[5] إرشاد العقل السليم١/١٢٥

البقرةوقد كان لقوله (ولا هم ينصرون) فأشير إليهم بضمير الغيبة استبعادا لمكانتهم وليعود بالخطاب إلى العمومية.

ومن التراكيب التي ساقت تعريف المسند إليه بالإضمار قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].

بما وراءه ويقصد به "خصوص القرآن...لتعقيبه بقوله"وهو الحق مصدقا"،وجملة "وهو الحق" حالية واللام في الحق للجنس والمقصود اشتهار المسند إليه بهذا الجنس أي وهو المشتهر بالحقية المسلم ذلك له"[2]، وجاءت الجملة مصدرة بضمير (هو) تنبيها للوصف المسند إليه، كونه لا حق إلا هو، فقال (وهو الحق) مؤكدا منبها على خروج ما يؤمنون به عن الحق،"ففي الآية صد لبني إسرائيل عن مقابلة القرآن بمثل ما قابلوا به الإنجيل وزيادة في توبيخهم"[3].

ومما جاء فيه التعريف بالإضمار قوله تعالى:﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

---

[1] البقرة الآية٩١-٩٢.

[2] التحرير والتنوير ٦٠٨/١

[3] المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

عمد الخطاب إلى ضمير المتكلم في هذا السياق لما فيه من معنى التوبيخ؛ إذ ابتدأ القول بالمحاجة اتبع الخطاب مسار الاعتراف التمهيدي لحق كل طرف وما يقابله فقال:(وهو ربنا وربكم) فعرف المسند إليه بالإضمار لقصر معنى الربوبية له وحده، وهي "جملة حالية أي كيف تحاجوننا في هذه الحالة التي لا تقبل الشك، وبهذه الجملة حصل بيان لموضوع المحاجة"[2]، ليتنبه ويلتفت المخاطبون بانتباه نفسي متزن مما يزيد على الخطاب هالة من التوبيخ للمخاطب والإنكار عليه، أي بلغت بكم الوقاحة إلى أن تحاجونا في إبطال دعوة الإسلام بلا دليل سوى زعمكم أن الله اختصكم بالفضيلة، ثم إنه وجه إليهم الخطاب مباشرة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فقال(قل أأنتم أعلم أم الله) وقد جاءت نسبة تمام الإسناد بالمسند إليه (أنتم) ضميرا عن الاثنين في حضن الاستفهام الإنكاري وقد لعب التركيب هنا وظيفة بيانية كان الرابط فيها بما سبق ضمير الخطاب وقد عطف عليها جملة استفهامية أخرى زيادة في البيان حيث تعلقت الجملتان بشرح تركيب سابق في قوله﴿ ونحن له مخلصون"فجاءت جملة القول (قل أأنتم أعلم أم الله) في حضن أسلوب الاستفهام لتأكيد النفي مشيرة بالضمير إلى قولهم.

"وتقديم المجرور في "لنا أعمالنا" للاختصاص، أي لنا أعمالنا لا أعمالكم فلا تحاجونا في أنكم أفضل منا"[3].

---

[1] البقرة الآية١٣٩- ١٤٠.

[2] التحرير والتنوير ٧٤٦/١

[3] المصدر نفسه الصفحة ذاتها

وفي تعريف المسند إليه بالإضمار في قوله﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ارتقاء ثالث لإظهار أن المسلمين أحق بإفاضة الخير"[1]، بمعنى ما حجتكم وادعاؤكم ما نحن أولى به وأنتم فاقدون للإخلاص بمعناهالحقيقي ألا وهو" تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين"[2].

٤/التعريف بلام التعريف:

من لطائف الخطاب القرآني لأهل الكتاب استعمال أل التعريف، والتي خصت بمرونة دلالية بناء على تنزيل الحقيقة منزلة المعهود بوجه من الوجوه الخطابية؛ لتكون اللام موضوعة للعهد؛ حيث يعرف المسند إليه بأل العهدية ليكون –مع استحضاره في الذهن مسبقا– دلالة أخرى متناسبة وحال المخاطب فتفيد مع العهدية معنى الاستغراق كما ورد في قوله﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3] فالتعريف للكتاب بأل فكأنه قال آتيناه الكتاب المستغرق لخصائص جنسه، فهو "كتاب الشريعة... الفارق بين الحق والباطل"[4].

ومعنى الحضور الذهني كما جاء في قوله تعالى:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[5].

تضاربت الأقاويل حول قصة التابوت ولا حاجة بنا إليها، سوى أننا نستشف منها أنهم على إدراك لحقيقة التابوت، والتعريف للمسند إليه (التابوت/ الملائكة) له طابع

---

[1] التحرير والتنوير ١/٧٤٦

[2] الجامع لأحكام القرآن: ٢:١٤٦

[3] البقرة الآية ٥٣

[4] التحرير والتنوير ١/٥٠٢

[5] البقرة الآية ٢٤٨

خاص يحقق العهدية الذهنية دون لفظها فتعطي معنى الحضور ولم يتقدمه مذكور ولا معهود صراحا[1]، لأنه يجب ألا يغيب عن حواسهم كما أن التعريف يبين عظيم مقامه في النفوس ولأنه قد عقدت عليه الهمم.

ومما جاء فيه التعريف للاستغراق قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ. . .الآية﴾[2].

فالتعريف في لفظتي الذلة والمسكنة يفيد تحقيق الصورة وتهويلها في النفس، فأعطى التعريف مشهدا حيالدنوهم الكامل في الذهن، لتفيد مع تحقق ما عهدته النفس عن اجتماع تلك المعطيات استغراقا للفظ بشتى ما يحمله من معنى، فبطلبهم انسلخوا عن نعم الله، وباجتماع الدنو والهبوط استكملواكل الخصائص التي تحقق كل الذلة والمسكنة.

ومن التعريف بأل ما جاء في قوله تعالى:﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[3]التعريف هنا يفيد التحقيقية فبقوله:(السلام) وإسناده لقوله (علي) فيه تخصيص لجنس السلام على المخاطب، وتعريض باللفتة على متهمي مريم عليها السلام بأن ضده عليهم[4]، ثم إن في الإشارة إليه في قوله:(ذلك عيسى ابن مريم) نزولا عند أحوال المخاطبين قصدا لبيان بعدهم عما هو حق ظاهر بصريا، بدلالة قوله استئنافا(فاختلف الأحزاب من بينهم) فأسند الاختلاف للأحزاب، وكأن المخاطبين كان فيهم أحزاب متعالم عليها عند الجميع فإذا قال (من بينهم) أضفى على معنى العهدية التحقيق؛ حيث فهم منه تلك الأحزاب دون غيرها.

---

[1] شرح المفصل. موفق الدين بن يعيش:٨٦. د ط. (عالم الكتب. بيروت. د ت).

[2] البقرة الآية ٦١.

[3] سورة مريم الآية ٣٣.

[4] ينظر: إعراب القرآن وبيانه. درويش: ١٣، ١٦/ ٥٩٤.

ومما جاء فيه التعريف بأل العهدية ما ورد في قوله تعالى﴿....وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1] فعرف الحق هنا وجيء بأل الدالة على العهدية، إشارة إلى الفئة المعينة المختصة بالقتل.

ومن التعريف بأل ما جاء في قوله تعالى ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[2] تأمل قوله﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾يراد هو الهدى الكامل في الهداية فهدى غيره من الكتب السماوية بالنسبة إلى هدى القرآن كلا هدى"[3] وفي اجتماع ضمير الفصل وتعريف الهدى بأل "الجنس الدال على الاستغراق ففيه طريقان من طرق الحصر... وفي الجمع بينهما إفادة تحقيق معنى القصر"[4]، والسر في هذا الاجتماع للتعريف والضمير لتأكيد الحكم والاهتمام به وفي تصديره بإن التوكيدية مزيد تأكيد اعتبارا لإنكار المخاطبين وتعنتهم[5].

٥/التعريف بالعلمية:

العلمية مسمى يحيلنا إلى العلم وهو اللفظ الذي يدل على معين، وقد يتعين بقيد، والتقييد يكون "بقرينة تكلم أو خطاب أو إشارة حسية أو معنوية أو زيادة لفظية كالصلة"[6]لدواع بلاغية، فجاء في أساليب تعريف المسند إليه بالعلمية، ولو تأملت

---

[1] البقرة الآية ٦١

[2] البقرة الآية ١٢٠

[3] التحرير والتنوير ١/٦٩٤

[4] المصدر نفسه الصفحة ذاتها

[5] ينظر: المصدر نفسه الصفحة ذاتها

[6] النحو الوافي. عباس حسن: ١/ ٢٨٧. ط١٣ (دار المعارف. القاهرة.)

تعريف المسند إليه في قوله:﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ. . .الآية﴾[1] لأفدت أن الفصل أسند لطالوت وهو"مسمى بعينه لم يحتج في دلالته عليه إلى معونة...؛ بل يعتمد على نفسه في إبراز تلك الدلالة"[2]، فاستحضر في الذهن مسندا إلى الفصل لتحقيق صورة ذات هيبة منوط لها الفصل، ولأنه يخاطب قوما منكرين جاء الخطاب في سياق التأكيد (إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ) وقد جاء بلفظ الجلالة ظاهرا لتذكيرهم أنه ابتلاء من عند الله، وجاء في مصدر ميمي لتوليد معنى الاستمرارية، فالابتلاء من مظاهر الدنيا على العباد ثم نجده في نفس الآية قد أسند المجاوزة لضمير يعود على طالوت وأكده بضمير الفصل فقال:﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾لفتة هنا أن طالوت قد جاوزه وهذا إثبات آخر لبني إسرائيل من باب تطمين أفئدتهم، بأنه أهل لما كلف به، فكان للترتيب معنى جميل باعتباره قائدا للجيش ثم أعاده ضميرا في آخر القول ليدل على أن من معه هم الذين آمنوا، وكأنه يجسد حدا حسيا فاصلا لهم كما النهر، وكأن في الابتلاء توضيحا لطالوت بحقائق من معه، ليكون هناك سقف للتوقعات يجب الانتباه له، وعبر عمن جاوزه معه بطريق الاسم الموصول للتعريض بالمخاطبين أنهم خارجون عن صفة الإيمان التي تخولهم النصر.البقرة

ومما جاء فيه التعريف بالعلمية قوله تعالى:﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3] فكان التعريف لاستحضار داود عليه السلام في ذهن المخاطب

---

[1] البقرة من الآية٢٤٩

[2] النحو الوافي١:٢٨٦

[3] البقرة الآية ٢٥١

باسمه الخاص[1] وقد أسند إليه قتل جالوت، ثم أسند إيتاء الملك للفظ الجلالة لقصر الأمر له.

ويعد من الاعتبارات البلاغية التي تظهر في خطاب القرآن لأهل الكتاب بالعلمية تلك السياقات التي يأتي في بنيتها مسمى (فرعون) وما أكثرها فيما يقصه الله على بني إسرائيل وإن اختلف البناء اللساني لها.

٦/التعريف بالإضافة:

لغةً: مطلق إسنادٍ لشيء أي إمالته له، أو نسبته إليه، واصطلاحاً: نسبة تقييديَّة بين اثنين توجب لثانيهما الجر أبداً وإن شئت قلت: إسناد اسم لآخر منزلاً الثاني من الأول منزلة التنوين، أو ما يقوم مقامه كنون الجمع في لزومه لحالة واحدة وهي الجر أبداً ويسمى الأول مضافاً والثاني مضافاً إليه[2].

ومن التعريف بالإضافة ما ورد في قوله تعالى﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى"[3]و"هدى الله" ما يقدره للشخص من التوفيق أي قل لهم لا أملك لكم من الهدى إلا أن يهديكم الله، فالقصر حقيقي"[4]، وقد أضيفت إلى لفظ الجلالة هنا لغرض التشريف[5].

ومنه ما ورد في تعريف الكتاب بالإضافة في قوله تعالى﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا

---

[1] ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمن حبنكة الميداني. :٣٢١. د.ط (دار القلم. سوريا- دمشق. د.ت).

[2] حاشية الخضري: ٢/٢٥.

[3] البقرة الآية ١٢٠

[4] التحرير والتنوير ١/٦٩٣

[5] المصدر نفسه الصفحة ذاتها

يَعْلَمُونَ"[1] فعرف الكتاب هنا بإضافته إلى لفظ الجلالة ليضفي عليه الشرف والرفعة والعظمة.

ثانيا: التنكير:

النكرة "اسم يدل على شيء واحد، ولكنه غير معين"[2]"وأنكر النكرات مذكور فموجود فمحدث فجوهر فجسم فنام فحيوان فإنسان فرجل فعالم، ويقاس على ذلك ما شابهه"[3]، ويأتي التنكير لإضفاء فائدة بلاغية لا تتأتى بالتعريف ومن تلك الفوائد:

تنكير المسند إليه للتعميم[4]ومنه ما ورد في قوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[5]وقع التنكير في (النفس) هنا لفائدة التعميم"أي لا يغني أحد كائنا من كان فلا تغني عن الكفار آلهتهم في غناء أولئك عنهم"[6]، والتنكير في يوما لإضفاء الرهبة والقوة، لبيان شدة ذلك اليوم.

ومن التنكير للتهويل والتفخيم ما ورد في قوله تعالى﴿﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[7].

---

[1] البقرة الآية ١٠١

[2] النحو الوافي١٤٧/١

[3] حاشية الخضري على ابن عقيل: ١٢٥/١

[4] ينظر: روح المعاني. ٢٥٢/١

[5]البقرة الآية ٤٨

[6] التحرير والتنوير ٤٨٥/١

[7] البقرة الآية٤٩

"والبلاء هو المحنة"[1]وقد جاء نكرة لتصوير المحنة وتهويلها، وتفخيم للأحداث التي مر بها بنوا إسرائيل من ظلم آل فرعون، وكأن في هذا التذكير حث للإيمان.

وقد يجيء التنكير للتحقير والتقليل مثل قوله تعالى:﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]

"والفريق اسم جنس لا واحد لهيقع على القليل والكثير"[3]وقد نكر هنا للتحقير والإهانة،بمعنى"طائفة فيمن سلف منهم"[4].

ومما جاء فيه التنكير للتكثير قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[5] (جاءكم رسول) إشارة إلى معاملة بني إسرائيل رسلهم، فنكر رسول هنا ليتضمن معنى التكثير والتعظيم لفعلهم،فجاء الخطاب في سياق "التوبيخ والتعجيب من شأنهم"[6].

ومما جاء فيه التنكير لغرض التعظيم قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[7]البقرة تنكير هدى هنا لإفادة التعميم والمبالغة في تعظيم الهدى من عند الله.

---

[1] الكشاف ١٦٦/١

[2]البقرة الآية ٧٥

[3] روح المعاني٣٣٥/١

[4]الكشاف١٨٤/١

[5]البقرة الآية ٨٧

[6] الكشاف١٨٩/١

[7] البقرة الآية٩٧

ومما جاء فيه التنكير متضمنا معنى التحقير قوله تعالى﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[1] فكلمة حياة في سياقها تضمنت معنى التحقير، فالمراد هنا بيان حرص هؤلاء على مطلق حياة، إذ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، ولهذا يأتي الخطاب بالتنكير"لأنه أراد الحياة المتطاولة"[2].

ومما جاء فيه التنكير قوله تعالى﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[3]فقد نكر نفسا "لأن القصد إلى إفادة أنه فرد غير معين من أفراد جنسه، إذ لا حاجة إلى تعريفه،... فالمراد أن يعلم المخاطب"[4].

الفصل الثاني:الأساليب الإنشائية الطلبية

---

[1] البقرة الآية٩٦

[2] الكشاف ١٩٣/١

[3]البقرة الآية ٧٢

[4] علم المعاني. بسيوني بسيوني١٣٧/١

المطلب الأول:أسلوب الأمر

المطلب الثاني:أسلوب النهي

المطلب الثالث: أسلوب الاستفهام

المطلب الرابع: أسلوب النداء

مدخل:

إن الإنشاء أسلوب له حضوره الدلالي عالي المستوى في استكمال رسم ملامح واضحة لأهل الكتاب، ولكن الخطاب لا يستوعب شبكة انتشار تفريعاته كاملة.

الإنشاء في اللغة: بمعنى الابتداء والخلق، يقال "أَنْشَأَ الله الخَلْقَ، أَي ابْتَدَأَ خَلْقَهم"[1]، **والإنشاء في اصطلاح البلاغيين** "كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه"[2].

وبمعنى أنه" إيجاد لصيغة كلامية لا توجد دلالتها قبل النطق بها، إذ يقصد المنشئ التعبير عن دلالة تحدث بنطقه بالتعبير الإنشائي"[3].

فالإنشاء أسلوب له آلياته في شد المخاطب، إذ "الواقع الخارجي بالنسبة للأساليب الإنشائية هو الواقع القائم في نفوس المتلقين، فمع قيامها يكون الصدق ومع عدم قيامه بذلك بنسب معينة، وهذا هو الخروج عن الأصل"[4].

ويقع أسلوبه في قنوات خمس الأمر ، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

المطلب الأول: أسلوب الأمر:

أسلوب إنشائي مبني على المباشرة في الخطاب، وقد جاء بكثرة في خطاب أهل الكتاب، ويأتي الأمر إما بمعناه الحقيقي، بحيث "يطلب به الفعل من المخاطب، سواء

---

[1] لسان العرب. مادة(ن.ش.أ).

[2] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. أحمد مطلوب. :١٩٥. ط.٢. (مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠م)

[3] المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني . البيان . البديع) عيسى علي العاكوب: ٢٤٧.(دار القلم (الإمارات العربية المتحدة . دبي. د.ت).

[4] الأسلوب وثلاثية الدوائر البلاغية عبد القادر عبد الجليل:٢٥٧. ط١ (دار صفاء.عمان. ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢).

كان الطلب على وجه الاستعلاء أو الدعاء أو الإباحة، أو التهديد، أو غير ذلك من الدلالات المطوية في صيغة الأمر حقيقة"[1]، أو يتضمن مع أصل معناه معنى بلاغيا.

يفهم من خلال السياق وقرائن الأحوال، فهو يحقق بالانزياح معاني إضافية تكشف جانبا من أهل الكتاب.

فيأتي على جهة الحقيقة كما في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2].

خطاب مباشر من الله لبني إسرائيل، لا وسيط فيه، إذ أمر الله بني إسرائيل أن يذكروا صنيع أسلافهم، وذلك يومئ بنفاذ الأمر إلى غرض التذكير للاعتبار[3]، وهو أسلوب له تأثيره المحفز لنفوسهم.

كما يرد أسلوب الأمر متضمنا مع ثبات معناه الحقيقي معاني أخرى منها:

التهديد في قوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[4]" واتقوا يوما"فيه تحذير من أن تحل بهم عقوبته يوم القيامة[5].

---

[1] شرح الرضي على الكافية: ١٢٣/٤- ١٢٤. تصحيح وتعليق يوسف عمر ط.١ (منشورات جامعة قار يونس . بنغازي، ١٩٩٦م).

[2] البقرة الآية ٤٧، ١٢٢.

[3] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري. تح أحمد شاكر: ٥٥٤/١-٥٥٦. ط١. (مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ =٢٠٠٠م).

[4] الأعراف الآية ٤٨

[5] ينظر: جامع البيان ٢٧/١-٥٧٤/٢

الوعظ في قوله تعالى﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]فقوله "استعينوا"و"اصبروا" مع ما فيه من رائحة الاستعلاء الحقيقي فقد تضمن معنى التوجيه إلى العظة والعبرة ومما يرجح ذلك السياق فصل قوله﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ﴾، كما أنها توقظ في النفس إحالة إلى حقيقة الجملة، وهو أمر موسى عليه السلام.

ويتضمن معنى الإهانة والتحقير في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ . . .الآية﴾[2]ففي الآية "فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ "أمر بمعنى التحقير والإهانة، حيث لا يخلو من الأمر للقيام بالفعل، وقد جاء أسلوب الأمر متضمنا معنى الدعاء في قوله تعالى:﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[3].

"أفرغ" فعل أمر ولما كان الطلب موجها لله سبحانه خرج من نطاق الحقيقة إلى معنى الدعاء، إذ لا يستقيم على حقيقته، والإفراغ هنا استعمال على غير حقيقته، فهو بمعنى صب شيء في شيء واستخدم اللفظ مع الإناء تقول أفرغ الإناء أي أخلاه، فاستعير هاهنا للصبر مبالغة في الطلب[4]"وفي هذا الدعاء من اللطافة وحسن الأسلوب...لأن فيه التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال"[5]ومما جاء

---

[1] البقرة الآية ١٢٨

[2] البقرة الآية ٥٤

[3]البقرة الآية ٢٥٠

[4] ينظر: التفسير الكبير ١٥٨/٥.

[5] روح المعاني: ٥٦٣/١

في الأمر معنى آخر ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا . . .الآية﴾[1].

إذ يبين الأمر سلوك بني إسرائيل وطابع من طبائعهم وهو التكبر والكفر والعناد وفي التكرار في الأمر على ألسنتهم (ادع لنا ربك) تأكيد على هذا الجانب من ويتضمن الأمر معنى السخط في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ . . . .الآية﴾[2]إذ إنهم كفروا نعمة الله عليهم في التيه، من إنزال الطعام اللذيذ، فسألوا استبدالها بنبات الأرض، فأجيب سؤلهم في لفظ الأمر ﴿اهْبِطُوا﴾ مع استحقاق كمال السخط[3]، والذي يرجح هذا المعنى السياق الذي جاء فيه الفعل من قوله﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

ومنه ما جاء لغرض الإباحة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا . . .الآية﴾[4] فليس المقصد منه الأمر؛ وإنما يخرج عن معناه اللغوي إلى الإباحية في الأكل.

التسخير و"هو القهر على الفعل، وهو أبلغ من الإكراه، فإنه حمل الغير على الفعل بلا إرادة منه"[(٥)]، وغالبا ما يجيء الأمر لغرض التسخير "في سياق يكون المأمور

---

[1] البقرة من الآية٦١

[2] البقرة الآية ٦١.

[3] ينظر: التحرير والتنوير ٥٢٤/١

[4]البقرة الآية ٥٨.

[5]الكليات. أيوب بن موسى الكفوي. تح: عدنان درويش ومحمد المصري:١٦٣. ط٢ (مؤسسة الرسالة. بيروت – لبنان. ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).

به منقاداً لما أمر به"[1] انقياداً، وقد جاءت صيغة الأمر لغرض التسخير في قوله تعالى﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[2]تضمن الأمر معنى التسخير هنا في سياق العقاب، وقد نزل بهم عقاب التسخير آية معجزة للعيان[3]، حيث جاء الفعل عيانا لا مجال لإنكاره، وقد أكد القول فيه لشدة إنكارهم، فمن كان بهذه الصفة التسخيرية، كانت حاله مغايرة لأحوال الأجسام في توالدها[4].

وجاء الأمر لقصد التعجيز في قوله تعالى:﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[5]ففي فعل الأمر" فتمنوا الموت" معنى التعجيز، لأن ليس من طبائعهم وسلوكياتهم ما يخولهم لتمني الموت[6]، فهم أشد الناس حرصا على الحياة.

وبمعنى الإرشاد كما في قوله تعالى﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[7]" خطاب لبني إسرائيل بالإرشاد إلى ما يعينهم على التخلق بجميع ما عدد لهم من الأوامر والنواهي...وهذا إظهار لحسن الظن بهم وهو طريق بديع من طرق الترغيب"[8].

---

[1] المفصل في علوم البلاغة العربية: 254.

[2] البقرة الآية ٥٦.

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن.١-٢/٢٩٩.

[4] ينظر: الكشاف٣/١٨-١٩

[5] البقرة الآية ٩٤.

[6] ينظر: إعراب القرآن ١٤٣/١

[7] البقرة الآية ٤٦

[8] التحرير والتنوير ٤٧٧/١

المطلب الثاني: أسلوب النــهي:

النهي في اللغة "خلاف الأمر، نهاه ينهاه نهياً فانتهى وتناهى كفّ"[١]، وفي الاصطلاح "طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"[٢]، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية العاملة فيه الجزم، "وهي حقيقة في التحريم"[٣]، ولأسلوب النهي أثر خاص في عملية التفاعل النفسي المخاطب مع السامع لما فيه من رائحة الاستعلاء، فمهما خرج النهي إلى معان أخرى لا تفارقه تلك الرائحة، وكذلك لا يفقد جلاله، وإلا لأوثر الأسلوب المباشر الخالي من النهي.

---

[١] لسان العرب. مادة (ن.هـ.ى)

[٢] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها/٦٦٧.

[٣] الإتقان في علوم القرآن. الحافظ جلال الدين السيوطي:٤١٤. د.ط (دار مصر للطباعة. مكتبة مصر)

وقد ورد النهي متضمنا معنى النصح والإرشاد في قوله تعالى: :﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] ففي قوله: (ولا تلبسوا) فعل مضارع مسبوق بـ (لا) الناهية، والناهي هو الله سبحانه ينهانا عن التلبيس في الحق وكتمانه، والمنهي هم بنو إسرائيل . تطهيراً لنفوسهم، وهو تحريم حقيقي، إذ صدر من الأعلى إلى الأدنى على جهة الاستعلاء والإلزام، وبصيغة النهي (لا)، ولما جاء في سياق التذكير بالنعم فقد جاء حاملا معنى النصح لهم وحثهم على الانتهاء عما هم بصدده.

ومثله من النهي ما تضمن معنى النصح في قوله تعالى:﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[2].

ومن النهي ماورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3]أي"لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه"[4].

---

[1] البقرة الآية ٤٢.

[2] البقرة الآية ٤١.

[3] البقرة من الآية٦٠

[4] الكشاف ١/١٧٣

المطلب الثالث: أسلوب الاستفهام:

والاستفهام "هو طلب للعلم بأمر كان الطالب يجهله"[1]، يعتبر أسلوب الاستفهام أحد الأساليب البلاغية المتنوعة والطرق التي تحدث شيئا من لفت الانتباه ونفي الرتابة عن النص القرآني، ورد الاستفهام في سورة البقرة على حقيقته، ما في قوله تعال خطابا على لسان أهل الكتاب: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾[2] هنا ورد القول استفهاما حقيقا حيث أجيبوا ما سألوا، فلم يخرج الاستفهام في قوله (ماهي) لغرض غير الحقيقي، وقد يأتي الخطاب حاملا لقيمة فنية بلاغية عندما أتى على غير المعنى الحقيقي منه أي مجرد الاستفهام.

---

[1] علم البيان بين النظريات والأصول. ديزيره سقال:٥٤. ط١. (دار الفكر العربي.بيروت.١٩٩٧م).

[2] البقرة الآية ٦٨.

ومن الأغراض التي خرج إليها الاستفهام في خطاب القرآن لأهل الكتاب:

التوبيخ "ويقع التوبيخ في أمر ثابت وبخ على فعله كما يقع على فعل ينبغي أن يقع"[1]والتعجب في قوله تعالى﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2].

الهمزة في أتأمرون حرف استفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى والتوبيخ على فعلهم، وفيه "إنكار لوقوع ذلك منهم وتعجب من وقوعه وحث للإقلاع عنه"[3]وكذلك الهمزة في قوله (أفلا تعقلون) إنكار وتوبيخ عظيم بمعنى لقد جئتم شيئا قبيحا وسيئا ألا تذكرون وتفطنون ذلك، وقوله تعالى﴿ وأنتم تتلون الكتاب" تعجب من فعلهم[4] مثل قوله (وأنتم تعلمون) ويلاحظ على هذه الآية مناسبة الفاصلة مع سياق الآية ففعلهم المتناقض لا يصدر عن العقلاء، ولذلك كانت (أفلا تعقلون) فاصلة تنكر عليهم اجتماع الأمرين حيث "نزلوا منزلة من انتفى تعقله فأنكر عليهم ذلك،...إهمال التفكر...مع مصاحبة شيئين يذكرانه، قارب أن يكون منفيا عنه التعقل"[5] .

الإنْكارُوهو في اللغة "الجُحُود"(٦)، و"المعنى فيه على النفي، وما بعده منفي"(٧).

---

[1] معترك الأقران في إعجاز القرآن. جلال الدين السيوطي.٣٢٩/١

[2] البقرة الآية ٤٤.

[3] علم المعاني. بسيوني فيود: ٢/ ٢٤٥

[4] ينظر: التحرير والتنوير ٤٧٧/١

[5] المصدر نفسه الصفحة ذاتها

[6] لسان العرب. مادة(ن.ك.ر)

٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن. الإمام جلال الدين السيوطي: 1/ 328.

التقرير: وهو "حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر ثبوته أو نفيه"[١]، وقد يأتي الاستفهام يراد به التقرير بمعنى التحقيق، "ومجيئه في صورة الاستفهام فيه تنبيه للمخاطب وحث له إلى تدبر الأمر وتأمله"[٢] ومما جاء فيه الاستفهام بمعنى الإنكار والتيئيس قوله تعالى﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

إن الاستفهام في سياق الآية يفيد الإنكار وتيئيس الذين آمنوا من إيمان اليهود ودخولهم الإسلام لما بينه الله من حالهم، فهم يسمعون كلام الله ثم يميلونه إلى ما يخدم هواهم ويحرفونه[٤].

مما جاء من الاستفهام للتعجيب قوله تعالى﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[٥]يخرج الاستفهام عن معناه "للتعجيب من طغيانهم ومقابلتهم جميع الرسل في جميع الأزمان بمقابلة واحدة"[٦].

---

[١]. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. ابن هشام الأنصاري. تح محمد محي الدين عبد الحميد:١/٥ (المكتبة العصرية. صيدا–بيروت. ط١٤١١هـ=١٩٩١م).

[٢]. علم المعاني:٢/١٣٦.

[٣]البقرة الآية ٧٥.

[٤] ينظر: التحرير والتنوير ١/٥٦٦–٥٦٧

[٥] البقرة من الآية ٨٧

[٦] التحرير والتنوير ١/٥٩٦

التقرير: ويقصد به:"حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه"[1]، وقد يأتي الاستفهام يراد به التقرير بمعنى التحقيق، "ومجيئه في صورة الاستفهام فيه تنبيه للمخاطب وحث له إلى تدبر الأمر وتأمله"[2]

كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[3].

لقد دار حوار بين بني إسرائيل ونبيهم، فأدخل في قوله "هل" الاستفهامية عما هو متوقع ومظنون في نفسه اتجاههم، لا لغرض الاستفهام وإنما أراد به التقرير وتأكيد أن ما توقعه كائن، وأنه صائب في توقعه منهم الخذلان، حيث استفهم فقال "هل قاربتم أن لا تقاتلوا؟ بمعنى هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟أراد أن بقول هل عسيتم ألا تقاتلوا، بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه"[4].

وقد يجيء الاستفهام متضمنا معنى "التنبيه، وهو من أقسام الأمر"[5] كما في قوله تعالى "﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ

---

[1]. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٥.

[2]. علم المعاني:١٣٦/٢.

[3]البقرة الآية ٢٤٦

[4] الكشاف٤٧١/١

[5] معترك الأقران في إعجاز القرآن٣٣١/١

الله﴾[1] ففي قوله﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام مع النفي والمراد منه التنبيه وحث المخاطب على الاهتمام بما احتواه الخطاب.

ومنه التوبيخ" وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت وبخ على فعله، كما يقع على ترك فعل ينبغي أن يقع"[2] اقرأ قول تعالى﴿﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3].

لقد أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن يسأل بني إسرائيل بطريق التقريع والتوبيخ، فهم قد بدلوا نعمة الله وأحلوا مكانها العذاب، بتحريف كتبهم وبجحودهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم، كما فيها تعريض على عدم اغتنام ما جاءهم من نعم، إذ فوتوا عليهم الانتفاع بها إذ لم يهتدوا[4].

ومن التوبيخ ما ورد في قوله تعالى:﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[5]والمعنى ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ) منهم بالحق (اسْتَكْبَرْتُمْ) عن الإيمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم"[6].

---

[1] البقرة الآية ٢٤٦

[2] معترك الأقران في إعجاز القرآن ٣٢٩/١

[3] البقرة الآية ٢١١.

[4] ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٣-٢١. وينظر: التحرير والتنوير ٢٨٨/٢-٢٨٩

[5] البقرة الآية ٨٧

[6] الكشاف ٥٩/١

التهـديد وذلك في قوله تعالى:﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

سردت الآيات أحد قبائح أهل الكتاب من مخالفتهم نصوص العهد وارتكابهم ما حرم عليهم من القتل والأسر والإخراج ثم إنه عطف عليه قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾وليس المراد مجرد الاستفهام وإنما يحمل في طياته معنى التهديد والتوبيخ، بمعنى فرقوا بين الأحكام وخالفوا كيف شئتم، فما جزاء ذلك الفعل إلا الخزي "الذل والمقت...وبالجملة المراد منه الذم العظيم"[2]في الدنيا ويوم القيامة يرد إلى أشد العذاب، ولتأكيد التهديد الشديد ختمت الآية بقوله﴿ وما الله بغافل عما تعملون"[3].

المطلب الرابع: أسلوب النداء:

النَّداء في اللغة "الصوت مثل الدعاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداءً أي صاح به"[4]، والنداء عند البلاغيين هو "طلب إقبال المدعو على الداعي"[5]، وللنداء ثماني أدوات هي: (الهمزة، أي، آ، أيا، آ، هيا، وا، يا)، وخصت الهمزة وأي لنداء

---

[1] البقرة الآية ٨٥.

[2] التفسير الكبير ١٨٧/٣

[3] ينظر: المصدر نفسه: ١٨٨/٣

[4] لسان العرب. مادة(ن.د.ى)

[5] البرهان في علوم القرآن/٣٣٥/٢.

القريب، وباقي الأدوات لنداء البعيد، إلا أنه قد ينزل القريب منزلة البعيد لأغراض بلاغية، كما قد ينزل البعيد منزلة القريب، للطائف يظهرها السياق.

وقد جاء النداء في خطاب القرآن لأهل الكتاب لغرض التنبيه على عظم الأمر المدعو إليه، وذلك في نداء الله تبارك وتعالى أهل الكتاب بكل صيغها العامة والخاصة، بأن يذكروا نعم الله وبأن يكفوا عما هم عليه من تصرفات قبيحة،داعياً إلى عبادة الله وتوحيده، فكان الأمر من الأهمية ، حيث دخلت أداة النداء (يا) مع بُعد، مع أن العبد المنادى بين يدي سيده، وقد تحذف أداة النداء فتكون مقدرة ذهنياً، حيث يستشعر المنادِي قرب المنادَى وتلاشي الأبعاد[1].

عمدت لغة الخطاب لبني إسرائيل إلى النداء بعدة صيغ وهي (يا أهل الكتاب) و(يا بني إسرائيل) و(يا أيها الذين أوتوا الكتاب) و(يا قوم).

أما المتكلم في النداء فهو الله سبحانه وتعالى، أو نبيه المرسل، أما الطرف الثاني فهو بنو إسرائيل، وهم بدورهم لم يستخدموا سوى جملة واحدة في أسلوب النداء وهي (يا موسى) هكذا دونما اعتبار لمقام كونه نبي الله، خطاب يتجلى فيه قوم غلبت عليهم شقوتهم.

ومما جاء في الخطاب بالنداء قوله تعالى﴿ :﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2]جاء الخطاب بالنداء من الذات العلية لبني إسرائيل للتنبيه على عظيم المدعو له، وعلو شأنه، وفي استخدام أسلوب النداء هنا "التنبيه على عظم الأمر المدعو له وعلو شأنه، وليبادر المنادى بالامتثال

[1] ينظر: علم المعاني. بسيوني فيود٢/١٤٧-١٥٠

[2] البقرة الآية ٤٠.

والاستجابة"[1]، كما نلاحظ أن الخطاب متضمن التأكيد على أن العبودية والمنة لله الواحد الذي أنعم عليهم ما يستوجب الطاعة والامتثال لأمره سبحانه، حيث إن في التذكير بالنعم دعوة للإيمان بالنبي المرسل، كما أن القول تضمن إثارة الاهتمام والانتباه لما احتواه من سرد تاريخي حافل بالنعم.

كما أن النداء جاء من نبي الله موسى لقومه حيث قال تعالى﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ. . .الآية﴾[2].

النداء متضمن معنى الرقة والتودد حيث إنه"استشفع لهم موسى فغفر الله لهم"ولعل كونه منهم فكان منه أن خاطبهم بلين الجانب، بخلاف خطاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى﴿﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[3].

حيث جاء الخطاب هنا خاليا من التودد باعتبار أن النداء في سياق المحاججة، "وكذلك نجد خطابهم في الأغراض التي يراد منها التسجيل على جميعهم يكون بنحو"يا أهل الكتاب"[4]، وفي لفظ أهل الكتاب تذكير بصفتهم وعلمهم وحث على التصديق والإذعان للإسلام.

---

[1] ينظر: علم المعاني. فيود بسيوني ١٥١/٢

[2] البقرة الآية ٥٤.

[3] سورة المائدة الآية ٥٩.

[4] التحرير والتنوير ٤٤٩/١

وقد يأتي النداء عند"الإشعار بغفلة المنادى عن الأمر العظيم الذي يقتضي اليقظة والانتباه"[1]كالذي ورد في قوله تعالى﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ. . .الآية﴾[2]فكأن غفلة هؤلاء الغافلين جعلت موسى عليه السلام يبعدهم عن ساحة الحضور، وأنزلهم منزلة البعيد، كما تضمن النداء معنى بلاغيا "الإغراء وهو الحث على طلب الأمر الذي ينادى له"[3]، فموسى عليه السلام يضمن نداءه معنى جليلا فيريد بهذا النداء إغراءهم وحثهم على بث الندم وإظهار الثوبة.

ومن النداء في سورة البقرة ما يكون موجها من بني إسرائيل لنبيهم موسى عليه السلام، فتأمل كيف يتأتى منهم وفيه سمات بني إسرائيل، المتصفين بالكبر والعناد والتمرد والعصيان وذلك كقوله تعالى﴿﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ. . .الآية﴾[4]وإن كان النداء منهم يفتقر لكون المنادى منهم نبيهم، فإنهم جعلوه واسطة بينهم وبين ربهم كما ورد في قوله (ادع لنا ربك)وتأمل إضافة ضمير الخطاب لرب هنا وما تحمله من دلالة وجدانية يكنونها في داخلهم اتجاه الإيمان بالله.

---

[1] علم المعاني.فيود بسيوني ١٥١/٢

[2] البقرة الآية ٥٤.

[3] . علم المعاني.فيود بسيوني: ١٥٢/٢

[4] البقرة من الآية ٦١

وجاء النداء في الخطاب محذوف الأداة في قوله تعالى﴿﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1] وهو نداء من الفئة المؤمنة، وقد تعمد الخطاب إلى حذف أداة النداء للتعبير عن القرب.

[1] البقرة الآية٢٥٠

الفصل الثالث:الإطناب والإيجاز

المبحث الأول: الإيجاز

المبحث الثاني: الإطناب

المبحث الأول: الإيجاز

المطلب الأول: بطريق تقديم العام على الخاص

المطلب الثاني: بطريق التكرير:

المطلب الثالث: بالإيضاح بعد الإيهام:

مدخل:

يعد الإطناب أحد أساليب الإقناع في خطاب القرآن، الذي خاطب أهل الكتاب في العقل والعاطفة بطريق التأكيد، فكان سبيل دعوة بالحجة الظاهرة، لإظهار الحق، فنجده في الكثير من المواضع وقد خاطب فيهم قوة الإدراك بالبرهان.

يقول أهل اللغة إن الإطناب هو"المبالغة في مدح أو ذم، ويقال أَطْنَبَتِ الإِبلُ إِذا تَبِعَ بعْضُها بعضاً في السير"[١]، وأطنب في كلامه "إذا طول ذيوله لإفادة المعاني"[٢]وفصله ابن قتيبة في باب (تكرار الكلام والزيادة فيه)[٣]، والإطناب في البلاغة هو "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد"[٤].

ويعد الإطناب من الأمور المركبة الحاصلة من البسط والزيادة بترك الإيجاز[٥]، وهو أحد المعالم البارزة في خطاب أهل الكتاب لدواعي مقتضى أحوالهم إذ لابد من إحاطة بالمعاني" ولا يُحاط بالمعاني إحاطةً تامة إلا بالاستقصاء، (...) والإطنابُ مشتركٌ فيه الخاصة والعامة، والغبِيّ والفطن، والريِّض والمرتاض، ولمعنى ما أُطِيلَت الكتب السلطانية في إفهام الرعايا"[٦]، وتدرك هذه السمة الجمالية من خلال السياق وقرائن الأحوال، ومظاهرها تكمن في صور من التكرار اللفظي لبعض الجمل أو

---

١ لسان العرب (ط.ن.ب)

٢ كتاب الطراز. يحي بن حمزة العلوي: ٢/٢٣٠.(دارالكتب العلمية. بيروت)

٣ ينظر: تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة الدينوري. شرحه ونشره السيد أحمد صقر: ٢٣٢. د.ط (المكتبة العلمية. د.ت).

٤ معجم البلاغة العربية/٣٨٨.

٥ ينظر: كتاب الطراز ٢/٢٣٠. وينظر: معترك الأقران١/٢٥٢.

٦. كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري. تح علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم: ١٩٦. ط٢(دار الفكر العربي).

الكلمات أو الأحداث، كالقصص وغيرها، على أنماط مختلفة، منها: الإيضاح بعد الإبهام، والتذييل، والاعتراض، والتتميم.

وبالنظر في مقامات الخطاب وسياقاته نلمح الإطناب يكون بطرق.

المطلب الأول: بطريق"تقديم العام على الخاص" [1]:

في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]فالغرض من الإطناب التنبيه إلى نعمة التفضيل، "والفضل الزيادة في الخير"[3] وذلك بتقديم العام على الخاص، فالنعمة مراد بها هنا جميع النعم وهي العام، والتفضيل نعمة خاصة[4]، للتنبيه إليها بشكل خاص، ولإظهار فضلها وعلوها على سائر النعم.

إن من بين المسالك التي اتكأ عليها أحبار اليهود، لتبرير كفرهم وصدهم عن السبيل قولهم على جبريل عليه السلام" هو عدونا لو كان غيره لآمنا بك"[5] فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[6].

فقدم العام "وملائكته" الذي يشمل جميع الجنس على الخاص" جبريل" الذي هو بعض أفراده، وخصه بالذكر مع أنه داخل في عموم الملائكة تكريما له وتعظيما لشأنه كأنه جنس آخر ،ففائدة الزيادة هنا" هو التنبيه على فضل الخاص وزيادة التنويه بشأنه حتى كأنه ليس من جنس العام"[7]ولأن المقام للحجاجية جاء القول بالتعليل فقال﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾وإيثار الخطاب على التكلم

---

[1] علم البيان بين النظريات والأصول:١٣٠

[2] البقرة الآية ٤٧.

[3] اللباب في علوم الكتاب. أبو حفص الدمشقي. تح عادل معوض: ٤٥/٢.ط١(دار الكتب العلمية.بيروت. ١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

[4] ينظر: روح المعاني:٢٥٢/١.

[5] إرشاد العقل السليم١٣٣/١.

[6] البقرة الآية ٩٧– ٩٨.

[7] علم المعاني والبيان والبديع. عبد العزيز عتيق:١٨٣. (دار النهضة العربية. القاهرة. مصر. د. ت).

لزيادة تقرير المضمون، كما أن في قوله"بإذن الله" تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام[1].

المطلب الثاني: بطريق التكرير:

[1] ينظر: إرشاد العقل السليم ١/١٣٤.

والتكرير في الإعادة والترديد[1]، ويعتبر أحد أساليب التقرير والتوكيد، فيقرر المعنى في النفس ثم يثبته "وكلما زاد ترديد المعنى كان أمكن له في القلب"[2] "وقد يجيء على صورة غير مألوفة فيبدو واضحا أن لهذا التكرار مقصدا آخر غير مقصد التوكيد"[3]، ويأتي على مستوى الألفاظ والجمل وقد يأتي في صورة تكرار المعاني كالقصص والأخبار، خاطب القرآن أهل الكتاب بهذا الأسلوب لأغراض كالتهويل والإنذار والتجسيم والتصوير تراها في السياق.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[4].

تعد هذه الآية من أوضح الخطابات المكررة بصورة غير مألوفة؛ بحيث تجاوزت نكتة التأكيد والإنذار، فكانت كالرابط لما بعدها من الوعد الشديد به، وفيها إيذان بأنهم بكامل غفلتهم عن القيام بحقوق النعمة[5]، فكأنها جرت مجرى الرادع والمنبه على أنه لا ينبغي منهم هذا.

ومما جاء فيه التكرار لتعدد السياق لينفي أي تهمة قد تساور النفوس المخاطبة ويلقى كلامه القبول منه قوله تعالى﴿﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

---

[1] لسان العرب. مادة (كرر).

[2] أساليب الإقناع في القرآن: ١٤٥.

[3] روائع الإعجاز في القصص القرآني. محمود السيد حسن:١٣٦. ط٢ (المكتب الجامعي الحديث. الاسكندرية ٢٠٠٣م).

[4] البقرة الآية ١٢٢– ١٢٣.

[5] ينظر: روح المعاني ٣٧٣/١. وينظر: إرشاد العقل السليم١٥٤/١

وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

أي لا يكون الخلق عنه حقيقة، وتكرير قوله "بإذن الله" في الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على أن كلا من التصوير والنفخ أمر عظيم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء إلا بإذن الله، وتكرير "بإذن الله" في غير هذا الموضع سابقا وهاهنا للاعتناء بتحقيق الحق، و"للمبالغة في دفع من توهم فيه اللاهوتية"[2]، مما يؤكد أنه مع حضوره المعرفي في ذهن المتلقي؛ بيد أن وجوده في النص الصياغي ليس من باب العبث إنما لفائدة[3].

وبعض هذا التكرار يقع على نحو مألوف للأذن على ما جرت به الأساليب البيانية في اللغة، وذلك كأن يتكرر اللفظ أو الجملة لغرض التوكيد كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[4].

سيقت "مساق الاستدلال لقوله﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ وفيها زيادة تأكيد لفظاعة حال التقاعس عن القتال بعد التهيؤ له في سبيل الله"[5].

---

[1] آل عمران الآية ٤٩.

[2] إرشاد العقل السليم: ١-٣٩/٢

[3] ينظر: الأسلوب وثلاثية الدوائر البلاغية.:٣٧٦.

[4] البقرة الآية ٢٤٦.

[5] التحرير والتنوير ٤٨٤/٢.

"والتكرير في مثله يفيد مزيد تحذير وتعريض بالتوبيخ"، فوجود سمة التكرير في الخطاب تومئ بأن المأمورين بالجهاد "لا يخلون من نفر تعتريهم هواجس تثبطهم عن القتال حبا للحياة، ومن نفر تعترضهم خواطر تهون عليهم الموت عند مشاهدة أكدار الحياة ومصائب المذلة، فضرب الله لهذين الحالين مثلين، ليقع التحريض على القتال بينهما"[1].

نفهم من هذا التحريض افتقارهم للهمة والذي أكد هذا، أسلوب الاستفهام التقريري، والذي إذا دخل على جملة كان المقصود منه شيئا متوقعا وكائنا منهم وقوعه[2].

ومن فن التكرير في باب الإطناب تكرير السؤال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[3].

إن قصة الذبح تعد جامعا بين النعمة والمعجزة التي ظهر فيها بشدة ملمح التكرار، والذي يصور لنا نوعا من أشد مساوئ أهل الكتاب، من المخالفة للأنبياء والتكذيب لهم وغير ذلك[4]، حيث جعل التكرار في السؤال مشيرا إلى طبع نفساني مقيت فيهم، المماطلة والإعنات في المسألة، وبعد الفهم عن مقاصد الله[5] مما أفضى بهم التشديدات.

---

[1] التحرير والتنوير ٢/٤٨٤

[2] ينظر: روح المعاني: ١/٥٥٦-٥٥٧

[3] البقرة الآية ٦٧- ٦٩.

[4] ينظر: روح المعاني: ١/٢٨٥

[5] ينظر: التحرير والتنوير ١/٥٥٤

ومن صور التكرير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

لقد أخذ الله منهم مواثيق عدة "واعلم إن الميثاق إنما يكون بفعل الأمور التي توجب الانقياد والطاعة"[2]، وقد عبر عنها بالإفراد دلالة على عدم اختصاصه بواحد منهم بل هو عام، كما أن الميثاق يقصد به العهد وهو تسمية كتبهم، فكأن الخطاب راعى فيهم هذا التسمية علهم يرجعون، كما يعد معجزة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ ما يزال الاسم قائما فيهم[3]، وجاء التكرير واضحا في اللفظ والمعنى في قوله﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة" للتذكير والتنبيه على أحقية الأمر بالمبادرة الفورية، وبه تعريض بهم وكأنهم في تكاسل وتراخ عن تلبية العهد، والمواثيق التي أخذها الله عنهم جاءت متفرقة بين الآيتين الأوليين فتمثلت في ثلاثة مواثيق:

الأول ميثاق الدلائل العقلية على وجود الله، والثاني في أخذ كتاب الله بقوة والذي أشير إليهما في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4].

---

[1] البقرة الآية ٦٣.

[2] التفسير الكبير ١١٥/٣

[3] ينظر: التحرير والتنوير ٥٤٢/١

[4] البقرة الآية ٦٣- ٦٤.

والثالث في أن لا يعودوا إلى عبادة العجل وأن يقيموا التوراة[1] وهذا تفصيل معناه في قوله تعالى﴿﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[2].

وقد فصل في هذه الأنواع في الآيتين الأوليين ليجمعهم في الآية الثالثة في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3].

ارتبط الإطناب بالتكرير في السياقات المختلفة في البناء الخارجي والمتصلة أتم اتصال في السياق الداخلي مكملة لبعضها، ليتصور المتلقي سلوكيات أهل الكتاب من حيث العهد، ففي كل مرة ينقضون عهدا وموثقا جعلوه مع الله على أنفسهم، فكان التكرار في كل مرة له موضعه السياقي والقصصي الخاص به، بيد أنها جميعا تصل في التأكيد على مسألة الميثاق، والتقرير عليهم.

ومن دواعي التكرير التذكير بأمور معينة، وتقريرها في نفوس المخاطبين، وقد جاء تكرير الآية في قوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[4]فأعيدت الآية بألفاظها في ضوء التكرير للتنبيه على فحواها وللتذكير به[5]، ولكن هناك تقديم وتأخير في الشفاعة والعدل فخالف بين الآيتين في

---

[1] ينظر: التفسير الكبير مج٢/٣-٩٩/٤

[2] البقرة الآية ٨٤.

[3] البقرة الآية ٩٣.

[4] البقرة الآية ١٢٣.

[5] ينظر: التحرير والتنوير ٦٩٧/١

الترتيب بين العدل والشفاعة وهو تفنن تنتفي به سآمة الإعادة مع حصول المقصود من التكرير.[1]

المطلب الثالث: بالإيضاح بعد الإيهام:

[1] التحرير والتنوير ٦٩٨/١

وهو: أن يُذكر كلام "في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية كلامه "[1]، فيكون المعنى مفصلاً بعد إبهامه لغرض بلاغي يحدده السياق، "يتمكن من النفس فضل تمكن، لما طبع الله النفوس عليه من أن الشيء إذا ذكر مبهماً ثم بين كان أوقع منها من أن يبين أولاً، أو لتكميل لذة العلم به، أي: بالمعنى"[2]، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[3] {البقرة:٤٨} ففيه إيضاح بعد إبهام حيث أمرهم باتقاء اليوم، ثم إنه وضحه تاركا الإيجاز لغرض تثبيت صورته في الأذهان، مراعيا أحوال المتلقي[4]، فقوله: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ إيضاح لما سبق من أمر في قوله تعالى﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ فإنه لما أمرهم بالتقوى، وكان القصد منه التحذير، إذ" لما ذكرهم بالنعمة وخاصة تفضيلهم على العالمين في زمانهم وكان ذلك منشأ غرورهم بأنه تفضيل ذاتي فتوهموا أن التقصير في العمل الصالح لا يضرهم، فعقب بالتحذير من ذلك"[5]، كان من البلاغة إيضاح سبب ذلك الأمر المبهم، وبهذا يكون الإطناب متلائماً مع المقام بإدخاله الحذر والردع على قلوبهم بأنهم محاسبون و لا مبرر لاغترارهم، فكان كالزاجر لهم.

---

[1]. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني. تح حفني محمد شرف:٤/٥٥٩. د.ط (دار إحياء التراث الإسلامي).

[2]. المطول:٤٩١– ٤٩٢.

[3] البقرة الآية ٤٨.

[4] ينظر: المصباح. بدر الدين بن مالك. تح حسني عبد الجليل يوسف: ٨٠(مكتبة الآداب. د. ت) .

[5] التحرير والتنوير ١/٤٨٤

ومما جاء فيه من معاني الإطناب التفسير بعد الإبهام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

فقولهم "يسومونكم" جاءت مبهمة، والقصد منها "يبغونكم سوء العذاب المفسر بما بعده"[2]، لغرض تهيئة المتلقي وشد انتباهه لتعظيم وتكبير نعمة الإنجاء والتي قوبلت بالإنكار والصد، إذ لم يكفهم ورودها بالتفسير ابتداء، لكونها أوقع في الذهن لورودها مرتين.[3]

لقد ذكر سبحانه نعمه على بني إسرائيل إجمالا، ثم إنه بينها على سبيل التفصيل للتذكير بعظمها ولتكون عليهم حجة[4]، وقد أعيدت الآية بطريق التكرير مع اختلاف في السياق، فكانت نكتة التكرير في المتشابه من الآيات لقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ في الأعراف في قوله :﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[5] لفائدة؛ حيث نلمح السياق الذي جاءت فيه "قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[6]

---

[1] البقرة الآية ٤٩.

[2] روح المعاني ٢٥٥/١

[3] الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة. محمد الجرجاني. تح عبد القادر حسين. ١٣٥. (مكتبة الآداب.١٤١٨هـ = ١٩٩٧م).

[4] ينظر: التفسير الكبير: ٦٣/٢

[5] الأعراف الآية ١٤١.

[6] الأعراف الآية ١٤١.

فكأنه يقول في المعنى العميق فكيف يليق بكم بعد كل هذه النعم ابتغاءكم عبادة غير الله[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[2].

"خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون...، وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه"[3] وحذرهم مغبة الطغيان، حين قال لهم﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ جيء بالغضب في صيغة الإبهام لتفخيمه وإعظامه، حتى إذا ما طرق الأسماع أولا ذهب بالمتلقين كل مذهب، لأن الإبهام يشوق النفس ويداخلها هيبة، فيوضح المبهم بعد ذلك تهويلا له فتكون نكتة المبالغة كالزاجر لهم عن المعصية[4].

---

[1] ينظر: التفسير الكبير: ٧/ ١٨٣

[2] سورة طه الآية ٨٠- ٨١.

[3] الكشاف ٣/٨٠

[4] ينظر: دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير.عبد الواحد الشيخ: ١٤٠ (مؤسسة شباب الجامعة.١٩٨٦). وينظر: التفسير الكبير : ٨٣/١١.

المبحث الثاني: الإيجاز

تعريف الإيجاز:

جز الكلام وجازة ووجزا وأوجز: قل في بلاغة، وأوجزه: اختصره[1].

وأما في المعنى الاصطلاحي فهو "جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح"[2].

والإيجاز يتجلى في ضربين الحذف، وقد سبق الخوض في مسألة الحذف والتي تعد أحد أنواع الإيجاز، والضرب الثاني إيجاز القصر، والذي يكون "بتضمين المعاني الكثيرة ألفاظا قليلة من غير حذف"[3].

إنه ليس يخفى أن للإيجاز دواعي جمالية فنية، حيث عبر بلمحات تركيبية احتوت على عظيم من الأشياء في القليل من الألفاظ، ففي خطاب القرآن لأهل الكتاب جاء التعبير بالإيجاز بطريق القصر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[4].

ففي قوله :﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ لقد كثف الخطاب معاني كثيرة حيث تنوعت أساليب صدهم للرسل وقد ذكر القرآن بعضا من تلك التفاصيل والأساليب مفصلة حول إسرافهم على أنفسهم في هذا الجانب، وقد جاء

---

[1] لسان العرب مادة(و.ج.ز)

[2] علم المعاني والبيان والبديع:١٧٦

[3] دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير:١٢٥-١٢٦

[4] البقرة الآية ٨٧.

القول هاهنا موجزا فعبر عن كل ما ترغبه لهم أنفسهم من فعل وقول بهوى النفس "إذ يتطرق هوى النفس إلى كل الآثام التي نهوا عنها"[1].

ومن الإيجاز التعبير بما الموصولة في قوله تعالى:﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[2].

جاء الإيجاز في الخطاب بـ(ما) النكرة الموصولة، فهي لفظ اشتمل على منهاج كامل للتشريع كله، فكانت جامعة لها كلها، ولم تفصل إذ الغرض منها الترغيب في الإيمان، بدلالة السياق الذي جاءت فيه وهو التذكير بأنعم الله عليهم وفضله ترغيبا في الإسلام.

ومن إشارات الإيجاز في الخطاب القرآني التعبير باسم الإشارة والذييومئ للمعاني دون حاجة لسردها مرة أخرى، كما أنه يقدم عنه العمل ثم يؤخر الجزاء فتكون الإشارة واضحة لا لبس فيها كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[3].

ففي التعبير باسم الإشارة المسند إليه هنا تمييز للمشار إليه بأمور تستقيها من الدلالة العامة فقد عبر به عن أفعالهم فدلالته على البعد لاحتوائها وللإيماء إلى انحطاط شأن من وقعت بهم تلك الأمور، ثم إن في تكريره بلفظه الظاهر مزيد تقرير "تنبيها

---

[1] الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز. مختار عطية. :٢٠٨ (دار المعرفة الجامعة).

[2] البقرة الآية ٤١.

[3] البقرة الآية ٦١.

على تجدد الكفر والقتل منهم حينا بعد حين واستمرارهم عليهما فيما مضى، أو لاستحضار قبيح صنعهم"[1].

إن للإيجاز قيمته الجمالية الكامنة في كونه يتيح للتراكيب أن تحتوي على كم غير قليل من المعاني، حيث يسمح لنا باستخلاص ظلال عن المعنى الأساسي.

[1] روح المعاني:٢٦١/١

الفصل الرابع:الفصل والوصل القصر

المبحث الأول: الفصل:

المبحث الثاني: الوصل

المبحث الثالث: القصر

المبحث الأول: الفصل:

المطلب الأول: دلالة التركيب والتحليل:

المطلب الثاني: مجيء القول ومشتقاته:

المطلب الثالث: كمال الاتصال بين الجمل:

مدخل:

يعتمد الفصل والوصل على الربط بين المفردات والجمل والآيات، وتعد هذه العلاقة من أهم مظاهر اتساق النص المتصلة بالمقام والسياق، فالتباين والتماثل بين الصيغ في المستوى التركيبي يعد من مضامير ظاهرة الفصل والوصل والتي تساهم في تحقيق الانسجام بين المقام ومقتضى الحال.

والفصل لغة هو: "الحاجِز بين الشيئين، فَصَل بينهما يفصِل فَصْلاً فانفصَل، وفَصَلْت الشيءَ فانفصَل، أَي: قطعته فانقطع"[1]، وخلافه الوصل فهو بمعنى "اتَّصَلَ الشيءُ بالشيء لم ينقطع"[2]، فالفصل هو الحد بين الأشياء، والوصل هو اتحاد الأشياء بعضها ببعض.

وفي الاصطلاح: "الفصل في البلاغة أو الكلام ترك عطف بعض الجمل على بعض، والوصل عطف بعضها على بعض"[3].

ومن المبادئ التي تحكم الفصل داخل السياق:

المطلب الأول: دلالة التركيب والتحليل:

---

[1] لسان العرب. مادة(ف.ص.ل)

[2] نفسه. مادة (و.ص.ل)

٣ معجم المصطلحات البلاغية١١٨/٣

وفي هذه الحالة تكون الجملتان مختلفتان في كون أحدهما تفصيل للأخرى، فتلعب هذه الدلالة دور الرابط، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

ففي الجملة الثانية" يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ " تفصيل وبيان للجملة﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ"، فكان تذبيح الأبناء واستحياء النساء هو تفصيل وتحليل لما أجمل في سوء العذاب الذي ألحق بهم، فكانت هنا البنية ثنائية تعتمد على تضمين عنصرين، فجاء التفصيل والبيان في منزلة التأكيد والتوضيح للمخاطبين، "فلم يعطفا عليها بالواو، لما بين البيان والمبين من صلة قوية تمنع الوصل بالواو"[2].

ومن الفصل المتضمن لدلالة التركيب والتحليل ما ورد في قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3]"وجملة "لا تعبدون" مبدأ بيان للميثاق فلذلك فصلت وعطف ما بعدها عليها ليكون مشاركا لها في معنى البيانية"[4].

---

[1] البقرة الآية ٤٩.

[2] من بلاغة النظم القرآني. بسيوني عبد الفتاح فيود :٢٦٨. ط١ (مطبعة الحسين الإسلامية. ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.)

[3] البقرة من الآية ٨٣

[4] التحرير والتنوير ٥٨٢/١

المطلب الثاني: مجيء القول ومشتقاته:

ومن علامات الفصل ما يجيء من (القول) ومشتقاته مفصولاً عما قبله، ليكون السر فيه والداعي إليه هو شبه كمال الاتصال، قال الإمام عبد القاهر الجرجاني "واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ (قال) مفصولاً غير معطوف هذا هو التقدير فيه، والله أعلم"[1]، وربما يكون كلام العلوي أكثر وضوحاً وهو قوله: إذا وردت "لفظة (قال) في التنزيل مجردة عن حرف العطف فهو على تقدير سؤال"[2]، ولفظ القول يكون جواباً للسؤال، فكل جملة جاءت مفصولة بعد فعل (القول) إنما هي جواب عن سؤال منها قوله تعالى﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ فلم تعطف على الجملة، وهي جملة﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ لأنها بمثابة الجواب لسؤالهم، كأنه قيل فماذا أجابهم؟ فقيل﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ" فنزل السؤال (ماذا قال؟) منزلة المحقق، وجاء الجواب عنه بقوله، ولذا ترك العاطف بين الجملتين، ولم يقتضه السياق.

ومما ورد فيه الفصل على إرادة القول[3]قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]ففي الانتقال من العبارة الأولى المتمثلة في الإخبار بالمضي إلى الجملة الطلبية قول مضمر أي قلنا، ولذلك فصلت العبارتان عن بعضهما الفصل.

---

[1]. كتاب دلائل الإعجاز، ص.٢٤٠.

٢. كتاب الطراز:٢/٥٠.

[3] ينظر: الكشاف١/١٧٥

[4] البقرة الآية ٦٣

ومثله ما ورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ....﴾[1].

ففي قوله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ جاء فعل الأمر بلا عطف، فدل ذلك على أن المن والسلوى هما طعام خالص للأكل، وهو على تقدير قول محذوف تقديره "قل كلوا" يدل عليه نظم الكلام[2].

[1] البقرة الآية ٥٧.

[2] ينظر: التحرير والتنوير: ١/٥١٠

المطلب الثالث: كمال الاتصال بين الجمل:

ويأتي التعبير بأسلوب الفصل بين الجمل لكمال الاتصال بينها، ويتحقق الفصل في قوله﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، جواب على موسى عليه السلام بأسلوب استفهامي لمعنى(أتسخر منا) ففيه استئناف وقع جوابا على تقدير تساؤل عن السامعين: فماذا صنعوا؟[1].

كما أن السياق العام له دوره في التحول الأسلوبي فالسياق هنا للمحاورة[2]وهذا الغرض يقتضي الفصل في كثير من المواضع، مراعاة لحال السامع مما يتولد في الخاطر من تساؤل حول الإجابة.

وظهر هذا الأسلوب في السياق في جملة القول والاعتراضية بوضوح مما يوحي بأن لهم باع في الممارسات الحجاجية، المبنية على أمانيهم وافتراءاتهم، فكان في الفصل رادعا وواصفا لقبح فعالهم تارة، كاشفا لسوء نواياهم تارة أخرى.

ومما افترق فيه الأسلوب بين فصل ووصل لمناسبة السياق العام ما ورد في قوله"﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [3]﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [4] ففي سورة البقرة كان المقام في ذكر النعم وتعدادها فناسب ذلك ما في الواو من معنى الجمع، وفي الأعراف كان السياق في التوبيخ والمذمة فناسب فيه الفصل[5].

---

[1] ينظر: روح المعاني ١/ ٢٨٦

[2] ينظر: التحرير والتنوير ٥٤٨/١

[3] الأعراف الآية ١٦١.

[4] البقرة ٥٨.

[5] ينظر: معترك الأقران. ٦٨:١

كما أن التحليل باعتبار مقتضى الحال والمقام معا، والذي يبحث في التناسب والترابط بين الآيات وتركيبها وعلاقتها بالمقام الذي نزلت فيه، يعد أحد مظاهر أسلوب الفصل، كما يهتم بنوع السياق الخطابي سواء أكان سياق جدل أو قص أو قول أو تهديد ووعيد...[1]، إن النص في مثل هذا المبحث يربط الحدث الخارجي سبب النزول بطريقة الصياغة الداخلية.

[1] الخطاب القرآني. خلود العموش/١٩٨-١٨٨

المبحث الثاني:الوصل:

المطلب الأول: دلالة التركيب والتحليل:

المطلب الثاني: مجيء القول ومشتقاته:

المطلب الثالث: كمال الاتصال بين الجمل:

مدخل:

إذا ما انتقلنا إلى الشق الثاني الوصل فهو من أساليب الربط الخاصة بالسياق الداخلي، لا خلاف في أن نكتة الوصل تكمن في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، فالواو لا تفيد مجرد الإشراك في الحكم ومطلق الجمع فحسب؛ بل تفيد التغاير وعند مجيئها بين الصفات فإنها تجعلها كأنها صفة واحدة، كما أنها تأتي بين الحال وصاحبها[1].

ولحالة الوصل مظاهر يتمثل فيها التوسط بين الكمالين مع عدم وجود المانع من العطف في الخطاب، وله صور عديدة، ومعناه "أن تتفق الجملتان خبراً وإنشاءً، وتكون بينهما مناسبة وجامع يصحح العطف مع عدم المانع "[2]، وقد جاء الوصل لهذا الغرض في الخطاب لأهل الكتاب بأغلب صوره المعروفة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

فعطفت الجملة الإنشائية "وتكتموا الحق"، على الجملة الإنشائية السابقة لها "ولا تلبسوا الحق"، المتناسبة معها لفظا ومعنى، وهو عطف النهي على النهي والمسند إليه في الجملتين واحد وقد توسط بين الجملتين "إشعارا بأن استقباح اللبس يكون بما يصحبه من كتمان الحق"[4].

---

[1] ينظر: علم المعاني. بسيوني: ١٦٨/٢

[2] علوم البلاغة. المراغي:١٦٤.

[3] البقرة الآية ٤٢.

[4] أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي: ٥٨/١

ومما جاء فيه الوصل تناسب الجمل في الاسمية والفعلية قوله تعالى:﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، "جاءت الآية في أسلوب التوبيخ[2]، واستأنف القول باستفهام مبني على التضاد وكان الرابط بين المتضادين الواو المفيد لمعنى الجمع والإشراك للحكمين، وجاء الاستفهام بأفعال مضارعة لتحقيق معنى التجدد والاستقبال، مما يكشف لنا عن طبيعة المخاطب.

ومن الوارد فيه نكتة الوصل قوله تعالى﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ . . .الآية﴾[3]سورة البقرة تصدرت الآية التأكيد نزولا بالخطاب إلى مقتضى حال المخاطبين وموقفهم بـ"لقد" الجامعة بين لام القسم وقد التحقيقية ولإظهار الاعتناء به[4]، وقد ربط بعلاقة الوصل بين الجملتين المصدرتين بفعل الإيتاء﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ " و" وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ" لتفيد وجود معنى مغاير.

إن التناسب بين المتعاطفين في علاقة الوصل في أغلبها فعلية في خطاب القرآن لأهل الكتاب، كما أن حرف الواو قد أفاد في تقريب العديد من الفوائد والتي استقيناها من ثنايا التفاسير وكتب البلاغة.

---

[1] البقرة الآية ٨٥.

[2] ينظر: البحر المحيط ٣٩٦/١

[3] البقرة الآية ٨٧.

[4] ينظر: روح المعاني ٣١٦/١

المبحث الثالث:القصر:

المطلب الأول: القصر بلكن:

المطلب الثاني: القصر بإنما:

المطلب الثالث: الاستثناء من النفي:

المطلب الرابع: القصر بإضافة ضمير الفصل:

مدخل:

القصر في اللغة:الحبس، يقال قَصَرْته إذا حبسته، وهو قصير أي محبوس"[١] وقد ورد لفظ القصر في قوله تعالى:﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٢] "أي محبوسات"[٣]، وفي الاصطلاح "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"[٤].

يعتبر القصر فنا بلاغيا عاليا، له مزاياه التي تخصه دون غيره، فبهذا الأسلوب يحقق المتكلم عدة خصائص في جملة بسيطة من الكلمات، ومن تلك المزايا "الإيجاز...تمكين الكلام وتقريره في الذهن وسبيله في هذا سبيل التأكيد"[٥].

"وللقصر طرق كثيرة أشهرها أربعة: العطف بلا أو بل أو لكن، والاستثناء من النفي، وإنما،...والعطف أقوى هذه الطرق في الدلالة على القصر، للتصريح فيه بالإثبات والنفي، ويليه في ذلك الاستثناء من النفي، ثم إنما "[٦].

ويأتي القصر بهذا الأسلوب لـ"يدل فيه على المثبت والمنفي بالنص، فلا يترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار"[٧].

---

[١] معجم مقاييس اللغة مادة (ق.ص.ر): ٤٠٤/٢

[٢] الرحمن الآي٤تة ٧٢

[٣] التفسير القيم. ابن القيم. تح/محمد حامد الفقي:٤٦٢ (دار الكتب العلمية.بيروت. د. ت).

[٤]. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها:٥٥٩.

[٥] البلاغة العالية.عبد المتعال الصعيدي:٤٨

[٦] المصدر نفسه الصفحة ذاتها

[٧] المصدر نفسه: ٥١

المطلب الأول: القصر بلكن:

قال تعالى:﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]. {البقرة}.جاء القصر بطريق العطف بلكن المفيد لمعنى الاستدراك أي قصر وقوع الظلم منهم على أنفسهم وفي تقديم المفعول به تأكيد لوقوع الظلم على أنفسهم، وفائدة هذا الأسلوب الإيجاز، وفيه تأكيد للمتلقين على أن آباءهم بعنادهم وعنتهم إنما خسروا أنفسهم وظلموها بتكبرهم على نعم الله عليهم.

ومن القصر بلكن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾[2]جاءالقصر هنا بلكن الاستدراكية المفيدة للتأكيد في سياق منفي للدلالة على أن الكفر مقصور ومتحقق في الشياطين.

---

[1] البقرة الآية ٥٧.

[2] البقرة من الآية ١٠٢

المطلب الثاني: القصر بإنما:

وجاء القصر بها في قوله تعالى﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾[1]فالمعنى هنا على قصر الفتنة عليهم، والغرض من القصر بإنما هو التعريض بما اقتضاه معنى الكلام بعدها أي من ذم اتباعهما.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]جاء القصر تعريضا بذم من يتولى وأن من يتولى في حكم من هم في شقاق عن أمر الله ورسوله.

---

[1] البقرة من الآية١٠٢

[2] البقرة الآية ١٣٧

المطلب الثالث: الاستثناء من النفي:

وهذه الطريقة تستعمل في الأمور المجهولة التي فيها مجال للشك والإنكار[1]، ومنه ما جاء في قوله تعالى﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾[2]وهنا اقتصر أن الضرر كله بمشيئة الله وحدة، فجاء القول في سياق نفي الضرر واستثناء ماكان بإذن الله ومشيئته فقط.

ومن القصر بطريق الاستثناء من النفي قوله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]"هذا الكلام فيه إبطال لما شرعه أهل الكتاب في دينهم"[4]لقد كان أهل الكتاب يأخذون المال مقابل فتاوى يحكمونها بما يلائم هواهم ومصالحهم، فعبر الخطاب عن حالهم تلك ووضح بأسلوب موجز مؤكد لتلك الأعمال ، فأثبت لهم أكلهم النار"أي ما يأكلون وقت كتمانهم واشترائهم إلا النار"[5].

---

[1] ينظر: المصدر نفسه :٥٤.

[2] البقرة من الآية١٠٢

[3] البقرة الآية ١٧٤

[4] التحرير والتنوير: ١٢٣/٢.

[5] المصدر نفسه الصفحة ذاتها

ومن القصر بأسلوب الاستثناء ما جاء في قوله تعالى﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1] هنا ورد الاستثناء من النفي مفيدا القصر، حيث خاطب سيدنا يعقوب بنيه مؤكدا عليهم أن يموتوا مسلمين، والتعبير بالقصر فيه إشعار بعظم هذا الأمر، وشدة حرص سيدنا يعقوب عليه السلام على أن يموت أبناؤه على الإسلام.

ومن القصر بهذا الأسلوب ما جاء في قوله تعالى﴿﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ...﴾[2] جاء الأسلوب القصر، مفيدا عمق ضلالتهم عن الحق، ففيه قصر دخول الجنة على اليهود والنصارى، فهذا التعبير رسم بدقة محكمة صورتهم في ذهن المتلقي ومدى تعنتهم وصدهم عن الإسلام.

ومثله جاء في قوله تعالى﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً...﴾[3] جاء القول بأسلوب القصر بطريق الاستثناء"لأنه في أمر يجهله المخاطب وينكره"[4] حيث إن أهل الكتاب يفتعلون الأكاذيب ومن أكاذيبهم هذا القول، ومجاراة لمدى اعتقادهم وتصديقهم لهذا فإن العبارة جاءت مؤكدة بأسلوب القصر.

---

[1] البقرة الآية١٣٢

[2] سورة لبقرة من الآية١١١

[3] سورة لبقرة من الآية٨٠

[4] البلاغة العالية:٥٤

المطلب الرابع: القصر بإضافة ضمير الفصل:

القصر بطريق ضمير الفصل هو﴿أن يعقب المسند إليه بضمير الفصل لتخصيصه بالمسند، بمعنى جعل المسند مقصوراً على المسند إليه"[1]، وقد جاء في قوله تعالى:﴿... فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2].

ختمت الآية بأسلوب القصر مخبرا أن الثوبة والرحمة لا تجتمعان في غير الله سبحانه وتعالى في قوله﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ كما أن في تعريف الجزأين بأل الجنسية قصر آخر لمزيد مبالغة في الصفتين.

ومما جاء فيه القصر بضمير الفصل قوله تعالى:﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3]. ورد قصر صفتي السمع والعلم المعرفتين بأل الاستغراقية لتنبيههم أنه هو السميع لأقوال عباده، مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم، عليم بما يسرونه ويعلنونه، وسيجازي كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب، بدون ظلم أو محاباة[4]فقال بطريق القصر:﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وقد أفاد القصر التعريض

---

[1] علم المعاني/٢/٥٢.

[2] البقرة الآية ٥٤.

[3] سورة المائدة الآية ٧٦.

[4] ينظر: التفسير الوسيط: ٤/٢٤٥.

بالوعيد،"والحال أنه سبحانه وتعالى المختص بالإحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أنتم عليه من الأقوال الباطلة والعقائد الزائغة"[1].

الفصل الخامس:التصوير البياني والمحسنات البديعية

المبحث الأول: التصوير البياني

المبحث الثاني: المحسنات البديعية

[1] روح المعاني: ٣-٤/٣٧٤.

المبحث الأول: التصوير البياني

المطلب الأول: التصـــــوير التشبيهي:

المطلب الثاني: التصـــــــوير بالاستعارة:

المطلب الثالث: التصوير الكنائي:

المطلب الرابع: الالتفات:

مدخل:

يكمن سر دقة التصوير وتحقيق مستوى عميق من الإقناع في إثارة الحواس المختلفة التي لا يمكن تجاهلها، والعواطف مما يساعد على تأكيد الصورة في نفس المتلقي.

"فبناء الصورة يكون وفق الكيفية التي تحرك الدوال المكونة على رقعة النص بعدا وقربا من خلايا المطابقة المعجمية، فيتم فك قيود الدال من المعجمية بواسطة العدول لتصبح أكثر تحررا وقدرة في البث الدلالي".[1]

أما تداعياتها في النفس فهي تومض في الذهن صورا وتبرز أفكارا كانت قد غيبت عنا في الشعور الداخلي (العقل الباطن)، الذي يدفع بها عندما يهدأ التفكير، ومن طرق تحريك الصور الحسية والمجردة المثيرات اللغوية والمادية، التي بمجرد إحداثها تستدعي صورا سابقة بتنظيم تتحكم فيه العوامل الانتقالية والموقف الذي يحياه المخاطب، كما تتشكل الصورة بناء على الرصيد المعرفي والنفسي، فالتداعي للصورة مرتبط بجملة من العوامل الاجتماعية والفكرية والثقافية، إضافة إلى تشكلها في الذات[2].

---

[1] الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية:٣٩٨

[2] ينظر: جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي. فايز الداية:٣١-٣٢. ط١. (دار الفكر المعاصر. النيل والفرات. ١٩٩٠م).

المطلب الأول: التصـــــوير التشبيهي:

التشبيه في اللغة "والشبهة بالضم الالتباس، والمثل وشبه عليه الأمر تشبيها لبس عليه"[١]، "واشتبهت الأمور وتشابهت، والتبست لإشباه بعضها"[٢]، وقد جاء بهذا المعنى في قوله تعالى﴿...إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾[٣] وقوله أيضا﴿...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...﴾[٤].

وفي الاصطلاح "التشبيه...يقتضي ضربا من الاشتراك"[٥] بحيث" يثبت لحكم حكما من أحكام المشبه به[٦]، وذلك بـ"وصفه بمشاركة المشبه به في أمر"[٧].

---

[١] القاموس المحيط. فيروز أبادي/شبه ٢٧٧/٤.

١. [٢] أساس البلاغة أساس البلاغة. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. تح محمد باسل عيون السود. مادة (شبه) :٤٧٧/١. ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م).

[٣] البقرة من الآية ٧٠.

[٤] النساء من الآية ١٥٧.

[٥] أسرار البلاغة. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. تح محمود محمد شاكر: ٩٩. د.ط (مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة. د. ت).

[٦] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير. تح محمد محي الدين عبد الحميد: ٣٧٣/١. د.ط (المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت- لبنان. ١٩٩٥م).

[٧] مفتاح العلوم: ٣٣٢.

وهنا نخلص إلى أن"الصورة التشبيهية تعامل مع الواقع المحسوس بأبعاده ومع الجوانب التجريدية الفكرية ومع أعماق الإحساس النفسي الداخلي"[1]، فهو عملية فنية تقوم على تقرير و"إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه"[2].

ومن الصور التشبيهية ما ورد في قوله تعالى:﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٧٣)﴾[3].

محور التصوير في هذه الآية استمد قوته من موضوع إحياء الموتى و إثبات البعث لبني إسرائيل بالدليل، وفي الكلام حذف للمشبه به(فضربوه فحيي) ليجعل مركز الاهتمام البعث في الآخرة[4]، وأمام هذا التناسق الذي يحيلنا إلى مسألة الغيبية التي تكتنف (البعث) "كان في إحياء القتيل عيانا طريق محاججة وإفحام؛ لأنهم لم يؤمنوا به إلا بعد أن شاهدوه فاطمأنت قلوبهم، ثم جاءت العبارة (كذلك يحيي الله المَوْتَى) أي: كما أحياها في الدُّنيا يحييها في الآخرة من غير احتياج"[5]وفي العبارة استخدم الخطاب آلة التشبيه الدالة على تحقيق وجه الشبه من جانب واحد بين الطرفين والذي نجده في سريان الروح في كلا الطرفين.

كما أن التعبير باسم الإشارة له قيمة إضافية، فمع تحقيق الإحالة ذهنيا إلى القصة فإن دلالة البعد عامل يبدي مساحة بين الطرفين مع تعظيم يتغشى الموضوع.

---

[1] ينظر: جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي٧٢.

[2] الصورة الأدبية في القرآن:٤٥.

[3] البقرة الآية ٧٣.

[4] ينظر: المحرر الوجيز:١/ ١٤٥ .

[5] اللباب في علوم الكتاب: ٢/ ١٨١.

ولتكتمل ملامح تصوير وتشخيص حقيقة بني إسرائيل تمتد إلى الصورة التي تليها مباشرة والتي جاءت في عبارة﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1]، والتي وشت بالمعنى بدقة موجزة، فشبه حالة قلوبهم القاسية بالحجارة، وقد جعل الخطاب من قسوة الحجارة سبيلا إلى إظهار وكشف ما يحصل في أعماقهم من القسوة الخفية، "والقساوة...الغلظ مع الصلابة...كما في الحجر وقساوة القلب مثل ...في نبوه عن الاعتبار"[2].

[1] البقرة الآية ٧٤.

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٤٥-٣٤٧

المطلب الثاني: التصـــــــوير بالاستعارة:

مدخل:

الاستعارة أحد الطرائق البيانية في تشخيص المعاني في النفس، لارتكازها على تغيير المعرفية بتوطين معنى جديد، معتمدة تمثيل الماهية ذهنيا، حيث تنشأ الاستعارة عن المجاز اللغوي، والعلاقة فيها بين الحقيقة والانزياح علاقة مشابهة[1]، فترتبط بالتشبيه من حيث قدرتها على التصوير والتقديم الحسي للمعنى، ولكن لها مزيد فضل على التشبيه، فهي ترتقي درجة في الخيال، الذي يبدأ مع البدء بالإحساس بالمشابهة بين شيئين وتنتهي عند توهج الإحساس بصيرورتهما شيئا واحدا[2] .

فالمخاطب بأسلوب الاستعارة يوهم أنه نقل المستعار له إلى جنس المستعار منه، وعملية النقل عند التحقيق تعود إلى جواهر الأشياء، وتبقى الألفاظ رموزا على هذا النقل فقط[3].

---

[1] ينظر: علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات. محمد كريم الكواز:٤٥٥. د.ط (الزاوية. ليبيا. ١٤٢٦م).

[2] ينظر: التصوير البياني/١٧٦. ينظر: التشبيه والاستعارة منظور مستأنف. يوسف أبو العدوس:١٣٩ د.ط (دار المسيرة. الأردن- عمان. د.ت).

[3] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩٤/١.

ويسهم "في تشكيل الاستعارة محوران أساسيان هما الأفق النفسي وحيوية التجربة، والحركة اللغوية الدلالية بتفاعل السياق وتركيب الجملة"[1]فالاستعارة رؤية جمالية تستدعي تغييرا لكل المتناسق ليخاطب القلب من المتلقي.

ومن الاستعارة ما جاء في استعمال "العهد" في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2].

فجاء الخطاب في صورة استعارة تمثيلية؛ فـ"شبه الهيأة الحاصلة من قولهم لما أمرهم الله به وأن لا يقصروا في العمل ومن وعد الله إياهم على ذلك بالثواب بهيئة المتعاهدين على التزام كل منهما بعمل للآخر ووفائه بعهده في عدم الإخلال به، فاستعير لهذه الهيئة الكلام المشتمل على قوله" وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم"[3] بحيث سيق الخطاب مراعيا معتقد المتلقي لحقيقة معنى العهد، فخاطبهم بما يتناسب وفهمهم؛ حيث استخدم العهد لبلوغ ما يثير أعماقهم نفسيا ومنطقيا عبر كتبهم، إذ يستخدم لفظ العهد عندهم لوصف التوراة، والتي تحمل وصايا الله تعالى لهم.[4]

ومن التصوير بطريق الاستعارة الذي ورد في قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[5].

---

[1] جمالية الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي. فايز الداية:١١٤.

[2]البقرة الآية ٤٠.

[3] التحرير والتنوير ٤٥٣/١

[4] ينظر: المصدر نفسه الصفحة ذاتها

[5]البقرة الآية ٦١.

ورد خطاب اليهود بأسلوب الأمر(اهبطوا) متضمنا"دلالة الإباحة المشوبة بالتوبيخ، لتنزيلهم منزلة من يشك لبعد عهدهم بما سألوه حتى يشكون هل يجدونه من شدة شوقهم والمحب بسوء الظن مغرى"[1]، وبعد هذا التمهيد أورد الخطاب الصورة البيانية في عبارة﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾عطفا بالواو ليكون خبرا مقصودا بذاته ينبه باستقلال بال المتلقي له[2]، والتجسيد واردة في استعار فعل "ضربت" للذلة والمسكنة ذينك المعنيين المجردين، لينور الانفعال الذي جعل المتلقي يرى إيحاء به العنف المناسب لصورة الذلة والمسكنة الملتصقة بهم[3]؛ إذ جعل لزوم الذلة وإحاطتها بهم كجزء من مكونهم النفسي، فشبه ملازمة الذلة والمسكنة لذواتهم بلزوم الطين في تكوين السكن، بطريق الاستعارة المكنية، والمعنى"فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة"[4].

ومن الصور البيانية ما جاء في قوله تعالى بطريق الاستعارة: ﴿... بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5]استعير لفظ "أحاطت" للخطيئة، فجعل الخطيئة شبيهة بالسور المحيط للشيء والذي لا منفذ منه، والسر البلاغي من هذه الاستعارة المبالغة في تمكن الخطيئة منهم، فكأنها فاضت بها النفس عن حدودها المجردة.

---

[1] التحرير والتنوير ٥٢٦/١

[2] ينظر: التحرير والتنوير: ٥٢٦/١

[3] جماليات المفردة القرآنية. نور الدين عتر :١٠٥. ط٢. (دار الكتب. ١٤١٩هـ=١٩٩٩م).

[4] الكشاف ١٧٤/١

[5] البقرة من الآية ٨٠

ومن التصوير بطريق الاستعارة ما جاء واصفا اتخاذهم العجل إلها في عبارة ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي تداخل حبه والحرص على عبادته، كتداخل الثوب الصبيغ"[1].

هذا المشهد التصويري ينقل لنا بدقة متناهية المعنى المجرد وهو درجة الحب الذي يحصل في القلب، إلى عالم المحسات، وهو من الاستعارات المتداولة عند العرب، فـ"من عادتهم أنهم إذا عبروا عن مخامرة حب أو بغض استعاروا له اسم الشراب"[2]، وعلاقة المشابهة بين محبة عبادة العجل إلها من دون الله والشرب أن"الشرب مادة لحياة ما تخرجه الأرض فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال"[3]، والسر البلاغي وراء ذلك الإعجاز البلاغي المذهل في الجمع بين المتباعدين في محور دقيق كهذا، وفي دقة تشخيص الصورة.

---

[1] الكشاف ١٩٢/١

[2] روح المعاني: ٣٢٦/١

[3] التفسير الكبير: ٣-١٧١/٤

المطلب الثالث: التصوير الكنائي:

الكنية لغة: على ثلاثة أوجه أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، الثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيما، الثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم، فيعرف صاحبها بها.

اصطلاحا:"الإشارة إلى الشيء عن طريق شيء آخر"فهي تعتمد أساسا على استعمال معنيين قريب وبعيد، وتقصد آلية الكناية ذلك المعنى البعيد لأن القريب هو من كلام إرادة الحقيقة لا الكناية[1]

الكناية نوع آخر من الحيوية التصويرية، مهمتها تكمن في الإبانة التي تتمثل في دعم الحكم وتقرير الخبر وتوكيد النسبة، فالزيادة فيها في الإثبات لا في الذات ولا في الصفات، لما تحمله من دليل القضية بذكر التالي تقريرا للأول، ومن الملاحظ في "أساليب الكناية الواردة في القرآن الكريم هي من تلك الراجعة إلى العرف العام الذي هو أشبه بالتقاليد الثابتة والقوائم الراسخة التي لا تتبدل، وهي من ثم لا تزال لها دلالتها

[1] ينظر: علم البيان بين النظريات والأصول:١٧٧-١٧٨.

الفنية على معانيها"[1]، والكناية" لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها،...المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة"[2].

لذلك تفتقر بقوة إلى المؤشر المانع من إرادة المعنى الحقيقي، وهذا ما جعلها تنمو في حالة تجاذب بين مستويي الحقيقة والمجاز" ويعد السياق مرشحا لأحد المستويين[3].

ومن الكناية ما ورد في قوله تعالى﴿: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[4].

عبر الخطاب بطريق الكناية التلويحية في عبارة﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾وجه الخطاب لبني إسرائيل موبخا إياهم على تأخرهم في اتباع دعوة الإسلام، فلم يقيد حالهم بأولية الكفر وإنما في العبارة كناية أن يكونوا أول المؤمنين به، "فالسبق والمبادرة من لوازم معنى الأولى، ولما كان الإيمان والكفر نقيضين إذا انتفى أحدهما ثبت الآخر كان النهي عن أن يكونوا أول الكافرين يستلزم أن يكونوا أول المؤمنين"[5]

---

[1]. من فقه البيان العربي (دراسة تفصيلية لمسائل التشبيه والمجاز والكناية). محمد السيد الطباخ وأحمد محمد سعيد: ١٧٧. ط.١ (الحلبي للطباعة والنشر . طنطا، ٢٠٠٣).

[2] مفتاح العلوم/٤٠٣.

[3] ينظر: الأسلوب وثلاثية الدوائر البلاغية: ٤٩٥-٥٩٧

[4]البقرة الآية ٤١.

[5]الأسلوب وثلاثية الدوائر البلاغية: ٤٦٠/١

ومن بين تلك الصور الكنائية التي جاءت بخاصية الإيجاز قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

صورت لنا الآية ملمحا واضحا لشخصية اليهود، حيث أعربت عن التعصب الشديد، حين تذرعوا بإيمانهم بما سبق القرآن، فجاحهم القرآن، ووضح لنا الصورة الكاملة بإيجاز عجيب، فأشار بطريق الكناية إلى القرآن ومحمد عليه السلام في قوله(بما أنزل الله) وفي تلك الإشارة بهذا التركيب إيجاز بليغ حيث راعى حال السامع الحاقد على القرآن وعلى رسولنا الكريم والمقام مقام نصح وتأليف للقلوب[2].

ولما"علموا أنهم إن امتنعوا عن الإيمان عدت عليهم شناعة، قالوا إن فضيلة إيمانهم قد تحققت بالذي أنزل عليهم، فصور لنا القرآن بإيجاز بديع بطريق الكناية في عبارة" مَا وَرَاءَهُ" والوراء في الأصل اسم مكان جعل كناية عن الغائب لأنه لا يبصره الشخص"[3]والتصوير الكنائي هنا تلويحي، أي "أنهم كما كفروا بالقرآن المنزل على محمد كذلك كفروا بالإنجيل المنزل على عيسى وكلاهما وراء التوراة "[4].

---

[1] البقرة الآية ٩١

[2] ينظر: من جماليات التصوير في القرآن الكريم: ١٧-١٨

[3] التحرير والتنوير: ٦٠٧/١

[4] من جماليات التصوير في القرآن الكريم: ١٨

المطلب الرابع: الالتفات:

الالتفات في اللغة: مأخوذ من التفت التفاتاً، بمعنى "لَفَتَ وجهَه عن القوم، صَرَفَه والْتَفَتَ التِفاتاً، وتَلَفَّتَ إلى الشيء والْتَفَتَ إليه صَرَفَ وجْهَه إليه"[1] ، وهو في الاصطلاح: "نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر"[2].

يعد الالتفات من المباحث دقيقة التأثير؛ إذ يخلق في السياق تنوعا، فـ"حين تتعاقب مظاهر الالتفات في نسق تعبيري واحد، فإن كلا منها تهيئ إلى سياق جديد"[3]، حيث يحدث ذلك التنقل "تطريةً واستدراراً للسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه"[4].

ورد الالتفات في خطاب القرآن لأهل الكتاب، بقلة لفوائد جليلة ومن تلك المواضع:

١/وضع المفرد موضع الجمع:

---

[1] لسان العرب. مادة (ل.ف.ت)

٢ البرهان في علوم القرآن٣/٣١٤

[3] أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. حسن طبل:٤٩ (دار الفكر العربي. القاهرة. ١٤١٨هـ=١٩٩٨م).

٤ البرهان في علوم القرآن:٣/٣١٤

ورد في قوله تعالى﴿ **وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**"[1]فوحد كافر ووضع موضع الجمع وفي هذا الأسلوب جعل المخاطبين كأنهم على قلب رجل واحد.

٢/وضع الجمع موضع المفرد:

ورد هذا الالتفات في قوله تعالى﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[2] فورد التعبير بالجمع والمعنى مفرد لأنه من المعلوم أن القاتل واحد لا الجميع، ولكنه نسبه إليهم جميعا لتسترهم عليه، فجاء الخطاب بهذه الصيغة مراعاة لحالهم.

٣/الالتفات من الماضي إلى المستقبل:

ويستخدم هذا التعبير للدلالة على أن الفعل مستمر متجدد وقد ورد في قوله تعالى مخاطبا أهل الكتاب﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[3]فعبر بالفعل المضارع"تقتلون"مع أن القتل وقع من اليهود في الزمن الماضي، فالسر البلاغي في ذلك هو استحضار تلك الصورة البشعة التي مارسها اليهود مع أنبيائهم، لتثبيتها في القلوب[4].

---

[1] البقرة من الآية٤١

[2] البقرة من الآية ٧٢

[3] البقرة من الآية٨٧

[4] ينظر: روح المعاني: ٣١٨/١

ومن الالتفات من الماضي إلى المضارع ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[1] فعبر بـ"تتلو"بدلا من التعبير بالماضي، لاستحضار تلك الصورة البشعة واستعظامها في الأذهان.

ومن الالتفات من الماضي إلى المستقبل ما جاء في قوله تعالى﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]فجعل المستقبل موضع الماضي في قوله تعالى"سيقول"دلالة على أن السفهاء مستمرون على ذلك القول.

٤/الانتقال من صيغة الخطاب إلى الغيبة:

ورد هذا الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3]حيث انتقل من صيغة الخطاب (عليكم)و(رزقناكم) إلى صيغة الغيبة في قوله (ظلمونا) (أنفسهم)(يظلمون).

ومن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4]التفات من الخطاب في قوله:

---

[1] البقرة من الآية١٠٢

[2] البقرة ١٤٢.

[3] البقرة الآية٥٧.

[4] البقرة الآية٧٣.

﴿فَقُلْنَا﴾ إلى الغيبة في قوله "﴿يُحْيِي اللَّهُ﴾"؛ والسر البلاغي في ذلك ليدخل الهيبة من الله، ولينبه على أن الله هو المحيي والمميت[1] .

ومن بلاغة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ما ورد في قوله تعالى:﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[2]فخاطبهم منكرا عليهم استبدالهم وكفرانهم نعم الله (أتستبدلون)،(فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ) ثم عدل من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ والسر من الالتفات هنا الإشارةإلى أن الذلة والمسكنة ضربت على جميع اليهود، بما فيهم المخاطبين إلى يوم القيامة، مجازاة على كفران نعم الله[3].

٥/الانتقال من الغيبة إلى الخطاب:

ومنه ما ورد في قوله تعالى:﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[4]انتقل من صيغة الغيبة في قوله(استسقى)(لقومه) إلى الخطاب في قوله(اضرب بعصاك) والسر في ذلك لتأكيد أن موسى عليه السلام هو رسول من عند الله وأن هذه معجزة من عند الله، وهي إحدى نعم الله عليهم.

---

[1] ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الشنقيطي.(دار الفكر. بيروت. ط/١٩٩٥= ١٤١٥)

[2] البقرة الآية ٦١.

[3] ينظر: روح المعاني مج١:١/٢٧٦-٢٧٧

[4] البقرة

المبحث الثاني: المحسنات البديعية

المطلب الأول:التضاد:

المطلب الثاني:المناسبة:

المطلب الثالث:مراعاة النظير:

المطلب الأول:التضاد:

من بين طرق الخطاب القرآني الواضحة هي الضدية، فالسياق الحالي يعتد في مقامات كثيرة على هذه العلاقة، لتحقيق الترابط بين الآيات[1]، وليتحول النص من الحديث عن أمر إلى ضده، وهذا الانتقال يتبعه بالضرورة تغيير واضح في السياق العام، ومنه ما ورد في قوله تعالى:﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] جزم تهتدوا على تقدير شرط يفيد أن من لم يكن يهوديا

[1]ينظر: الخطاب القرآني. خلود عموش: ١٩٨

[2]البقرة الآية ١٣٥.

أو نصرانيا منفي عنه الهدى[1]، ويعد من الأفعال الكلامية التي لها صلة في الكشف عن طبيعة واقع المخاطب وغروره، وجاء النفي في أسلوب الفصل لوقوع الآية في سياق المحاورة، بقوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، ففي ذكر ملة إبراهيم اتباع لأسلوب التضاد، فالهداية المرضي عنها هي باتباع هذه الملة، والتي يعد الإسلام ناهلا منها[2].

ومما جاء بطريق التضاد قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3] بني الاستفهام على التضاد في وصف حال المخاطب، وبيان مآلهم فذكر الإيمان ليذكر ضده تباعا، وذكر الحياة الدنيا ليأتي بالضد في يوم القيامة.

كما ورد التضاد في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[4]ورد التضاد بين الإخراج والكتمان، لقد بني السياق الخطابي على التضاد التي تسهم في ربط الأنساق ببعضها.

ومن التضاد ما ورد في قوله تعالى:":﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[5]فقد جمع بين: الإنجاء والإغراق وفي هذه العلاقة بين الضدين في مقام التذكير بالنعم،

---

[1]ينظر: التحرير والتنوير ٧٣٦/١

[2]ينظر: المصدر نفسه: ٧٣٧/١

[3]البقرة الآية ٨٥.

[4] البقرة الآية ٧٢.

[5] البقرة الآية ٥٠-٥١

مزيد لبيان"النعمة العظيمة الخارقة للعادة، والتي بها تمام الإنجاء، وبيان مقدار إكرامهم"[1].

المطلب الثاني:المناسبة:

"المناسبة على ضربين: مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ، فالمعنوية هي أن يبتدئ المتكلم بمعنى، ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ"[2] ومن المناسبة المعنوية قوله تعالى:﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[3]فقد قال سبحانه وتعالى في صدر الآية التي

---

[1] التحرير والتنوير ٤٩٥/١

[2] علم البديع. أحمد أحمد فشل. :١٧٤ (دار المعارف. ١٩٩٦م).

[3] البقرة الآية٦١

هي للتوبيخ ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ فقد وصف استبدالهم النعمة التى هم فيها وهي خير بالذي هو أدنى ومما يتناسب مع هذا الوصف قوله:(**اهْبِطُوا مِصْرًا**).

وقال سبحانه وتعالى:﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ﴾ وقد قال بعدها﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فالكفر من العصيان لله وأوامره، وقتل الأنبياء من الاعتداء.

المطلب الثالث:مراعاة النظير:

وهو في الاصطلاح:"أن يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع إلغاء ذلك التضاد ولتخرج المطابقة: سواء كانت المناسبة لفظا لمعنى، أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى"[1]

كقوله تعالى:﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2]حيث إنه وصف فعلهم

[1] علم البديع ، أحمد أحمد فشل:١٧٧

[2] البقرة الآية٧٩

بقوله:﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ولم يكرره كما جاء في تكرار (كتبت أيديهم) وإنما جاء الخطاب بطريق المناسبة ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

ومن التناسب ما جاء في قوله تعالى:﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

فإن التناسب جاء في السياق بين السمع والعقل مع الفاصلة (وهم يعلمون)

ففي الجمع بين هذه المتناسبات مزيد في توضيح المعنى، كما أن "الإخلال بمراعاة النظير ثورت الكلام هجنة ويجعله غير مقبول لدى السامع"[2].

الخاتمة

بعد هذا التطواف والتجوال توصل البحث إلى بعض النتائج علها تكون ثمرة هذا الجهد المتواضع:

١. أن مباحث علم المعاني وإبراز أسرارها البلاغية هو جزء لا يتجزأ من العلوم التي تخدم كتاب الله عز وجل والتي تبرز على أسلوبه وبلاغته من جهة أخرى.
٢. أن الاطلاع على أسرار التنزيل من جهة نظمه وإبراز علاقات الاتصال بين أجزائه جانب عظيم الأهمية في إبراز إعجاز الكلام وسمو أسلوبه.

---

[1] البقرة الآية ٧٥

[2] دراسات في البلاغة العربية. عبد العاطي غريب علام: ١٧٧. ط ١. (جامعة قاريونس .بنغازي. ١٩٩٧م)

٣. أن هناك أهمية بالغة تتصل بدلالات التراكيب، فليس عبثا استخدام أساليب دون أساليب بل أسرار أيضا تكمن في طريقة استخدام هذه الأساليب لبيان المعاني والمقاصد.

٤. أن اختلافات كبيرة في المعاني تظهر أحيانا عند التعبير بأسلوب الإسناد الخبر أو الأسلوب الإنشائي في سياقات كثيرة.

٥. أن من أبرز الأصناف المذكورة في سورة البقرة من الناس هم أهل الكتاب.

٦. جاء جل الخطاب بأساليب علم المعاني خاصة دون غيره من العلمين الآخرين، فكان ظاهرة تستحق الوقوف عليها بالفعل.

٧. أن الخطاب الخاص بهذه الفئة يدور حول التذكير والترغيب والترهيب والاعتبار، والذي تجلى في جميع مباحث علم المعاني وقل ونذر في العلمين الآخرين بشكل واضح جلي.

٨. أن الخطاب في سورة البقرة لأهل الكتاب جاء بجميع أنواع التأكيد، كالتقديم وأنه كلما اشتدت المحاجة والمعاندة التعنت جاءت العبارة موجزة بطرق الإيجاز كالحذف والتعبير باسم الإشارة والقصر، وكلما كان المقام مقام ذكر للنعم وترغيبا لهم وتحذيرا كان الإطناب واضح المعالم، كالتكرار والتوضيح بعد الإبهام.

٩. والقارئ في هذا البحث سيجد خروج الأساليب الإنشائية الدائم إلى المجازية التي تتولد عبر السياق.

١٠. والمتتبع لأسلوب الفصل والوصل خاصة سيرى أن السر فيه يتجلى بتتبع أسباب نزول الآيات، وخاصة في المتشابه منها، بطريق المقارنة.

وفي الختام أدعو الباحثين إلى الانصراف إلى دراسة أساليب القرآن الكريم في ضوء الدراسات البلاغية واللغوية واللسانية الحديثة لإظهار ما خفي من مميزات أسلوبه وقوة تعبيره.

وأسأل الله من فضله وكرمه أن يفيد هذا البحث كل من يقرؤه أو يقتنيه، وأن يجعله في ميزان حسنات كل من له يد في الوصول به إلى هذا المستوى، ولو بكلمة طيبة نابعة من قلب صادق صاف، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

الباحثة..

الفـــــــــــــهارس

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية الإمام حفص عن عاصم.

١. ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره. محمد حربي. ط١ (دار عالم الكتب بيروت. لبنان. ١٤٠٧هـ).

٢. الإتقان في علوم القرآن. الحافظ جلال الدين السيوطي. (دار مصر للطباعة. مكتبة مصر).

٣.إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. محمد بن محمد العمادي أبو السعود. (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت).

٤.أساس البلاغة.أبو القاسم محمود بن عمر وبن أحمد،الزمخشري جار الله. تح محمد باسل عيون السود. ط١ (دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان. ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م).

٥.أساليب الإقناع في القرآن. بن عيسى باطاهر.ط١.(دار الضياء.عمان- الأردن. ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م).
٦.أسباب نزول القرآن. الواحدي. تح:كمال بسيوني زغلول.(دار الكتب العلمية.بيروت-لبنان.١٤٢٢هـ=٢٠٠١م).
٧.أسرارالبلاغة. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. تح محمود محمد شاكر. د.ط (مطبعة المدني بالقاهرة،دار المدني بجدة. د. ت).
٨.أسرار النحو. ابن كمال باشا.تح أحمد حسن حامد.(ط٢.دار الفكر.١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م).
٩.أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. حسن طبل. (١٤١٨هـ=١٩٩٨م. دار الفكر العربي. القاهرة).
١٠. الأسلوب وثلاثية الدوائر البلاغية. عبد القادر عبد الجليل. ط١ (دار صفاء.عمان. ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م).
١١. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية. عبد القادر عبد الجليل. ط١ (دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان_ الأردن. ٢٠٠٢م).
١٢. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة. محمد الجرجاني.تح: عبد القادر حسين. مكتبة الآداب. ١٤١٨هـ =١٩٩٧م) .
١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الشنقيطي. د.ط.(دار الفكر. بيروت.١٩٩٥م= ١٤١٥هـ).
١٤. إعراب القرآن وبيانه. محيي الدين درويش. ط٤. (دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية،داراليمامة - دمشق-بيروت، دارابنكثير - دمشق-بيروت. ١٤١٥ هـ).
١٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي. ط١/ (دار الكتب العلمية.بيروت.١٤٠٨هـ =١٩٨٨م).
١٦. الإيضاح في علوم البلاغة. جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ط ٤.(دار إحياء العلوم. بيروت. ١٩٩٨).

١٧. بدائع الفوائد. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. ت : هشام عبد العزيز عطا وآخرون. (الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة.ط١/١٤١٦هـ =١٩٩٦).
١٨. البرهان في علوم القرآن. محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبوعبدالله. تح محمد أبي الفضل إبراهيم د.ط. (دارالمعرفة. بيروت – لبنان ١٣٩١).
١٩. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. عبد المتعال الصعيدي (الناشر: مكتبة الآداب.١٩٩٩).
٢٠. البلاغة العالية علم المعاني. عبد المتعال الصعيدي. قدم له: عبد القادر حسين. (مكتبة الآداب. ط٢/١٤١١هـ= ١٩٩١).
٢١. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. عبد الرحمن حبنكة الميداني.د.ط (دار القلم. سوريا– دمشق. د.ت).
٢٢. بنو إسرائيل. محمد مهران. د.ط(دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٩).
٢٣. البيان في روائع القرآن. تمام حسان.ط٢.(عالم الكتب–القاهرة. ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م).
٢٤. تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة الدينوري. شرحه ونشره: السيد أحمد صقر(المكتبة العلمية. د.ط.د.ت).
٢٥. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقلال جديد من تفسير الكتاب المجيد». محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. د.ط (الدار التونسية للنشر–تونس. ١٩٨٤هـ).
٢٦. التشبيه والاستعارة منظور مستأنف. يوسف أبو العدوس د.ط (دار المسيرة. الأردن– عمان. د.ت).
٢٧. تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي. ت:عادل عبد الموجود وآخرون.(دار الكتب العلمية. بيروت.ط١/ ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م).
٢٨. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. تح سامي بن محمد سلامة. ط٢. دار طيبة. ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م).

٢٩. التفسير القيم. ابن القيم. تح: محمد حامد الفقي. (دار الكتب العلمية. بيروت).
٣٠. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. فخر الدين الرازي. (دار الكتب العلمية. بيروت –لبنان. ط١/١٤١١هـ= ١٩٩٠م).
٣١. التفسير الوسيط. محمد سيد طنطاوي. (نهضة مصر.ط١/١٩٩٧).
٣٢. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. النيسابوري.(دار الكتب العلمية. بيروت.ط١/ ١٤١٦=١٩٩٦).
٣٣. جامع البيان. جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري. تح أحمد شاكر. مؤسسة الرسالة.ط١/١٤٢٠= ٢٠٠٠).
٣٤. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. (دار الكتب العلمية، بيروت. ط١/ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨).
٣٥. جماليات المفردة القرآنية. نور الدين عتر.ط٢.(دار الكتب ١٤١٩هـ=١٩٩٩م).
٣٦. جمالية الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي. فايز الداية ط١ (دار الفكر المعاصر. النيل والفرات. ١٩٩٠م).
٣٧.جواهر البلاغة. السيد أحمد الهاشمي. تح محمد رضوان مهنا (مكتبة الإيمان.ط١ /١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
٣٨. حاشية الخضري على ابن عقيل. شرحه: تركي فرحان المصطفى(دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان.ط١/ ١٤١٩هـ =١٩٩٨م).
٣٩. خصائصالتراكيبدارسةتحليليةلمسائلعلمالمعاني. محمد محمد أبو موسى. ط٧. (مكتبةوهبة. القاهرة – مصر. د.ت).
٤٠. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. عبد العظيم المطعني.ط١ (مكتبة وهبة. القاهرة. ١٤١٣هـ=١٩٩٢م).
٤١. الخطاب القرآني (دراسة في العلاقة بين النص والسياق). خلود العموش. ط١ (عالم الكتب الحديث. الأردن. عمان – ٢٠٠٥م).

٤٢. الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية. هادي أحمد فرحان الشجيري (دار البشائر الإسلامية. ط/١٤٢٢هـ=٢٠٠١م).
٤٣. دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، عبد الواحد حسن الشيخ. مؤسسة شباب الجامعة–الاسكندرية).
٤٤. دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم. منير محمود الميسري (دراسة تحليلية) تقديم عبد العظيم المطعن وعلي جمعة. (مكتبة وهبة. القاهرة– مصر).
٤٥. دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. صحح أصله: محمد عبده وآخرون.(دار الكتب العلمية. بيروت–لبنان).
٤٦. روائع الإعجاز في القصص القرآني. محمود السيد حسن.(المكتب الجامعي الحديث. الاسكندرية ط٢/ ٢٠٠٣م).
٤٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي. تح علي عبد الباري عطية. ط١. (دار الكتب العلمية – بيروت. ١٤١٥هـ).
٤٨. السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية. عهود عبدالواحد.(دار الفكر–عمان. ط١/١٤١٩هـ=١٩٩٩م).
٤٩. شرح الرضي على الكافية. تصحيح وتعليق: يوسف عمر (ط.١. منشورات جامعة قار يونس . بنغازي، ١٩٩٦م).
٥٠. شرح المفصل. موفق الدين بن يعيش. د.تح.د ط (عالم الكتب. بيروت. د ت).
٥١. الصورة الأدبية في القرآن. صلاح الدين عبد التواب. د.ط(الشركة المصرية العالمية للنشر. د.ت).
٥٢. عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. فوزي محمد حميد (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.ط١/١٤٢٨هـ= ١٩٩٩م).
٥٣. علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات. محمد كريم الكواز.د.ط (الزاوية. ليبيا. ١٤٢٦م).

٥٤. علم البيان بين النظريات والأصول. ديزيره سقال. (دار الفكر العربي. بيروت.ط١. ١٩٩٧م).
٥٥. علم المعاني دراسة وتحليل. كريمة محمود أبو زيد. (درا التوفيق النموذجية. ط١. ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م).
٥٦. علم المعاني. بسيوني عبد الفتاح بسيوني. (مكتبة وهبة. القاهرة).
٥٧. علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) . أحمد مصطفى المراغي. (دار الكتب العلمية. بيروت– لبنان. د.ت).
٥٨. في البلاغة العربية علم المعاني والبيان والبديع. عبد العزيز عتيق.(دار النهضة العربية. بيروت).
٥٩. الكامل. ابن الأثير.تح أبو الفداء عبدالله القاضي (دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢ ١٤١٥هـ=١٩٩٥م).
٦٠. كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري. تح علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم. ط٢ (دار الفكر العربي. بيروت_ لبنان. د. ت).
٦١. كتاب الطراز. يحي بن حمزة العلوي.(دار الكتب العلمية. بيروت).
٦٢. الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل.أبوالقاسممحمودبنعمروابنأحمد،الزمخشريجارالله. د. تح. ط٣. (دارالكتابالعربي – بيروت. لبنان. ١٤٠٧ هـ).
٦٣. الكليات. أيوب بن موسى الكفوي. تح: عدنان درويش ومحمد المصري. ط٢ (مؤسسة الرسالة. بيروت – لبنان. ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).
٦٤. اللباب في علوم الكتاب. أبو حفص الدمشقي. تح: عادل معوض (دار الكتب العلمية. بيروت.ط١/١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).
٦٥. اللباب في علوم الكتاب. أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي. ت: عادل أحمد عبد الموجود. علي محمد معوض (دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان. ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م).

٦٦. لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. د. تح. ط١ (دار صادر. بيروت – لبنان. ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م. ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).
٦٧. مجلة الدعوة الإسلامية. العدد ٢٥. ٢٠٠٨. طرابلس "دقة التعبير في نهايات الآيات بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقا" عبد المجيد محمد خليفة.
٦٨. مجلة علوم اللغة (بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط دراسة بلاغية موجزة لدواعيه وأسبابه).
٦٩. المحرر الوجيز. ابن عطية الأندلسي. تح عبد السلام عبد الشافي محمد.(دار الكتب العلمية. بيروت. ط١/١٤٢٢هـ =٢٠٠١م).
٧٠. مدارج السالكين. ابن القيم الجوزي. كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبدالله. تح محمد حامد الفقي ط٢(دار الكتاب العربي بيروت.١٣٩٣هـ_١٩٧٣م).
٧١. المصباح. بدر الدين بن مالك. تح حسني عبد الجليل يوسف. (مكتبة الآداب).
٧٢. معالم التنزيل محيي السنة. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. تح محمد عبد الله النمر. عثمان جمعة ضميرية. سليمان مسلم الحرش ط٤ (. دار طيبة للنشروالتوزيع١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).
٧٣. معاني النحو. فاضل السامرائي. ط٢ (. دار الفكر١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م).
٧٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن. الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي. ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين. (ط.١. دار الكتب العلمية بيروت . لبنان. ١٩٨٨م).
٧٥. معجم البلاغة العربية. بدوي طبانة. ط٤. (دار المنار. دار ابن حزم. ١٤١٨هـ=١٩٩٧م).
٧٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. أحمد مطلوب.ط٢(مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠م).

٧٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. ابن هشام الأنصاري. تح محمد محي الدين عبد الحميد(المكتبة العصرية. صيدا–بيروت. ١٤١١هـ=١٩٩١م).
٧٨. مفتاحالعلوم. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب. ط٢. (دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م).
٧٩. المفصل في علوم البلاغة العربية. عيسى علي العاكوب. (الإمارات العربية المتحدة . دبي. د. ت).
٨٠. مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. تح إبراهيم شمس الدين ط١.(دار الكتب العلمية. بيروت– لبنان.١٩٩٩م).
٨١. ملاك التأويل. أحمد الغرناطي. تح محمود كامل أحمد (دار النهضة العربية. ١٩٨٥م).
٨٢. الملل والنحل. محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني. صححه وعلق عليه. أحمد فهمي محمد . د.ط. (دار الكتب العلمية. بيروت_لبنان. د.ت).
٨٣. من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. عبد العزيز عبد المعطي عرفة.ط.٢ (عالم الكتب١٤٠٥هـ= ١٩٨٤م).
٨٤. من جماليات التصوير في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال.ط١ط٢/ (الهيئة المصرية العامة للكتاب./١٩٩٣,٢٠٠٦).
٨٥. من فقه البيان العربي (دراسة تفصيلية لمسائل التشبيه والمجاز والكناية). محمد السيد الطباخ وأحمد محمد سعيد ط.١ (الحلبي للطباعة والنشر . طنطا، ٢٠٠٣م).
٨٦. النحو الوافي. عباس حسن. ط١٣ (دار المعارف. القاهرة).
٨٧. وقفة بين أصحاب الديانات. عصام الدين محمد علي (منشأة المعارف. ١٩٩٠م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
الشكر والتقدير	
المقدمة	
التمهيد	١
أولا: قراءة في المفاهيم	١
الإسرائيلي	٢
اليهودي	٣
النصراني	٤
أهل الكتاب من خلال القرآن الكريم	٥
مواقف لأهل الكتاب من سورة البقرة	٩
الفصل الأول: الإسناد الخبري	١٤

المبحث الأول: أحوال المخاطبين	١٥
المطلب الأول: مقام خالي الذهن	١٨
تنزيل المتلقي خالي الذهن من الخبر منزلة المتردد الشاك	١٩
المطلب الثاني: مقام المتردد	٢٠
جعل المتلقي غير المنكر للحكم منكرا	٢١
المطلب الثالث: مقام المنكر	٢٣
تنزيل المنكر منزلة المتردد	٢٤
تنزيل المتلقي المنكر للحكم منزلة غير المنكر	٢٤
تنزيل المنكر منزلة الشاك المتردد	٢٤
المبحث الثاني: أحوال الخبر الإسنادية	٢٦
المطلب الأول: التقديم والتأخير	٢٧
أولا: التقديم والتأخير السياقي	٢٧
أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى	٢٧
مناسبة الخطاب للأحداث الواقعية	٢٨
مناسبة التقديم والتأخير لحال المخاطبين	٢٩
مناسبة اللفظ من حيث التقديم والتأخير	٣٠
مناسبة ترتيب الألفاظ للاستهلال	٣٠
تقديم تفصيل الأمر وتأخير التركيب الذي تم تفصيله	٣١
ثانيا: التقديم والتأخير الإسنادي	٣٢
التقديم والتأخير بين المسند والمسند إليه	٣٢
التقديم والتأخير بين المفعول به والفعل	٣٤
المطلب الثاني: الحذف والذكر	٣٦
أولا: الحذف	٣٦
حذف المسند إليه	٣٧

حذف المسند	٤٠
حذف المفعول به	٤١
ثانيا: الذكر	٤٤
المطلب الثالث: التعريف والتنكير	٤٥
أولا: التعريف	٤٦
التعريف بالصلة	٤٦
التعريف بالإشارة	٤٨
التعريف بالإضمار	٥٣
التعريف بلام التعريف	٦٠
التعريف بالعلمية	٦٣
التعريف بالإضافة	٦٥
ثانيا: التنكير	٦٦
الفصل الثاني:الأساليب الإنشائية	٦٩
المبحث الأول: أساليب الإنشاء الطلبي	٧٠
الإنشاء غير الطلبي	٧٠
الإنشاء الطلبي	٧١
المطلب الأول: أسلوب الأمر	٧٢
المطلب الثاني: أسلوب النـهي	٧٧
المطلب الثالث أسلوب الاستفهام	٧٩
المطلب الرابع: أسلوب النداء	٨٤
الفصل الثالث: الإطناب والإيجاز	٨٨
المبحث الأول: الإطناب	٨٩
المطلب الأول: بطريق تقديم العام على الخاص	٩١
المطلب الثاني: بطريق التكرير	٩٣

المطلب الثالث: بالإيضاح بعد الإيهام	٩٩
المبحث الثاني: الإيجاز	١٠٢
الفصل الرابع: الفصل والوصل والقصر	١٠٦
المبحث الأول: الفصل	١٠٧
المطلب الأول: دلالة التركيب والتحليل	١٠٨
المطلب الثاني: مجيء القول ومشتقاته	١٠٩
المطلب الثالث: كمال الاتصال بين الجمل	١١١
المبحث الثاني: الوصل	١١٣
المبحث الثالث: القصر	١١٦
المطلب الأول: القصر بلكن	١١٨
المطلب الثاني: القصر بإنما	١١٨
المطلب الثالث: الاستثناء من النفي	١١٩
المطلب الرابع: القصر بإضافة ضمير الفصل	١٢٠
الفصل الخامس: التصوير البياني والمحسنات البديعية	١٢٢
المبحث الأول: التصوير البياني	١٢٣
المطلب الأول: التصـــوير التشبيهي	١٢٥
المطلب الثاني: التصـــــوير بالاستعارة	١٢٧
المطلب الثالث: التصوير الكنائي	١٣١
المطلب الرابع: الالتفات	١٣٤
وضع المفرد موضع الجمع	١٣٤
وضع الجمع موضع المفرد	١٣٤
الالتفات من الماضي إلى المستقبل	١٣٥
الانتقال من صيغة الخطاب إلى الغيبة	١٣٦
الانتقال من الغيبة إلى الخطاب	١٣٧
المبحث الثاني: المحسنات البديعية	١٣٨

المطلب الأول: التضاد	١٣٩
المطلب الثاني: المناسبة	١٤١
المطلب الثالث: مراعاة النظير	١٤٢
الخاتمة	١٤٣
الفهارس	١٤٥
فهرس المصادر والمراجع	١٤٦
فهرس الموضوعات	١٥٤